الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

جامعة مولود معمري تيزي وزو
كليّة الآداب و اللّغات
قسم اللّغة العربية و آدابها
التخصص : نقد حديث و معاصر

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTERATURE ARABES

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة و الأدب العربي، تخصص نقد حديث و معاصر

نموذج المرأة المقاومة في رواية شجرة مريم لسامية بن دريس

– أنموذجا–

إعداد الطالبة

– غول نبيلة

إشراف الأستاذة

العقريب نعيمة

اعضاء اللجنة المناقشة

- الأساتذة:
- الأستاذة : العقريب نعيمة: أستاذ محاضر صنف (أ) مشرفًا و مقررًا
- الأستاذة : داودي سامية : أستاذ محاضر صنف (أ) رئيسًا
- الأستاذة : ولد أحمد نوارة: أستاذ محاضر صنف (ب) ممتحنًا

السنة الجامعية: 2018– 2019

خطة البحث

- كلمة شكر وتقدير
- إهداء
- مقدمه: "إشكالية"

الفصل الأول : مظاهر العنف والتمرد في الرواية النسوية الجزائرية

المبحث1: العنف الممارس ضد المرأة الجزائرية و أشكاله.

المبحث2: صورة المرأة الجزائرية تحت وطأة المجتمع الأبوي.

المبحث3: تمرد المرّأة الجزائرية.

الفصل الثاني:تجليات المقاومة والتمرد في رواية شجرة مريم

المبحث1: تحليل غلاف رواية شجرة مريم

المبحث 2: العنف الممارس على بطلة رواية شجرة مريم زمن العشرية السوداء و بعدها.

المبحث 3 : تمرد و مقاومة البطالة على العنف الممارس ضدها.

- خاتمة.
- قائمة المراجع.

« كلمة شكر وتقدير»

كالعادة، ما أصعب النهاية، ما أصعب أن تصوغ الشكر وتختار معانية.

وبادئ ذي بدء أختار كلمات تليق بمقام الأستاذة المشرفة

العقريب نعيمة، ينبوع المساعدة والنصائح والتوجيهات التي كانت نورا الدربي.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرة

وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتنا الكرام بقسم اللغة العربية بجامعة مولود معمري تيزي وزو، الذين قدموا لنا الكثير، باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد، الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة.

تعد المرأة جزءا لا ينفصل بأي حال من الأحوال من كيان المجتمع الكلي. كما أنها مكوّن رئيسي للمجتمع بل تتعدى ذلك لتكون الأهم بين كل ألمكونات و قد شغلت المرأة عبر العصور أدوارا مهمة، و كانت فاعلة و نشيطة في وضع القوانين و السياسات، و في تسيير حركة الحياة السياسية.

خلق الله تعالى الجنسين "الذكر و الأنثى ليكمل كلّ منهما الأخر حيث و فر لهما كل الأدوات و الأساليب الممكنة لإنماء الحياة و نهضتها على الأرض حيث جاءت **الأديان السماوية** لتنظم علاقتهما و تدفعهما لبذل أقصى الجهود لتحقيق غاية الله الذي خلق الإنسان لأجلها.«يعد دور المرأة في المجتمع كبيرا جدا و ذا أثر بالغ الوضوح كما أنه دور حساس جدا و لكن إن تحديد دورها وابتذالها و استغلال قدراتها بشكل يفوق قدرتها واستنزافها يقود لضياع المجتمعات و تشتتها وهدم بناءها [1]

لكن رغم هذا الدور الفعال أكيد أن الكل يعلم مدى معاناة المرأة عامة، و المرأة الجزائرية خاصة. في الماضي و الحاضر مع غياب إنسانيتها في البيت و الحياة، تحت حجر تقاليد مجحفة.

كرست خلال عهود الانحطاط الوضعية المختلفة لواقعها في البيت و المجتمع و رغم ما حققته راهنا من بعض الحقوق نتيجة نضالها وفرض جدارتها في المنزل والعمل والفكر والإبداع بصورة بطولية، قدمت من أجلها كثيرا من التضحيات الجنسية، فإنها مافتئت بعد تئن تحت وطأة ترسانة من القوانين الظالمة. والممارسات الذكورية المتسلطة، وأكيد أنه مازال أمامها زمن مديد من الكفاح والنضال والاحتجاج في وجه واقعها البئيس، وأشواط طويلة من الصعوبات والإحبطات، وفق ما تشرحه خالدة سعيد: «مالم تتحقق للمرأة المساواة التامة على الصعيدين القانوني والواقعي ومالم يتحرر الناس "**رجالا ونساء** من الأفكار المسبقة عن المرأة

[1]-جميل صلبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني،بيروت ط2 ، 1982

وهي أفكار تكونت على مر العصور من خرفات وتصورات غير علمية ومركبات نقص أوى استعلاء [1]

ومالم تصبح البني الاجتماعية مهيأة لانطلاق شخصية المرأة وتفتحها في مناخ من الحرية ومن احترام الشخص الإنساني، بعيدا عن كل تمييز واضطهاد بسبب الجنسي أو العرق « كما جاء في بيان حقوق الإنسان مالم يتحقق هذا كله، سبقي هذه القضية مفتوحة» [2].

فالمرأة العربية اليوم دائبة على بذل قصارى جهدها، لاستعاد إنسانيتها بالكامل، من خلال انخراطها بفاعلية في حركة الحياة اليومية، عبر الجمعيات والاتحادات والأندية النسائية والنقابات والأحزاب السياسية، بل وتصدرها المواجهات العنيفة مع السلطة الغاشمة، ألم نرها تتقدم المظاهرات والاعتصامات المعارضة للنضم المتهاوية خلال انتفاضة الربيع العربي وتقدم الأسيرات والسجينات والمعذبات المغتصبات بل والشهيدات الواحدة تلو الأخرى في مختلف المواجهات الاحتجاجية والفدائية بعدد من لأقطار العربية اللاديموقراطية، بما في ذلك تضحياتها البطولية التى يضرب بها المثل في **فلسطين الحبيبة** . فضلا عن وقوف رمز نسائية في عدد من الأقطار العربية، مثل **نوال السعداوي ولطيفة الزيات ورضوى عاشور في مصر وفاطمة المرنيسي في المغرب وخالدة سعيد في لبنان وسحر خليفة الفلسطينية** وغيرهن، « بشجاعة نادرة لمواجهة العقليات المتحجرة التي تقف في وجه رغبة المرأة في تحررها مما علق بها من ضلم وخنق لفاعليتها، في تحد صريح لكثير من التابوهات المحبطة للمرأة والمعيقة لتحررها، من أجل تحسين وضعيتها ورفعها إلى مكانة اعتبارية مستحقة، وقطعا ليس على حساب الرجل بل تفوقا لأن تصبح عنصرا موازيا له بمعني الكلمة داخل المجتمع والبيت باعتبارهما أساس النهوضي بحركة الحياة اجتماعيا

[1]-خالدة سعيد: المرأة التحرر الإبداع، نشر الفنك، الدار البيضاء 1991، ص67
[2]-مجلة حوار ، العدد 9 ، 1946 ص30،35.

وتربويا واقتصاديا على ركائز سليمة ووعي إنساني ديمقراطي لا يسمح لطرف أن يسود على الطرف الثاني [1]

وهو ما يرهص به هذا الجدل الواسع الدائر بين النخب المثقفة على طول الوطن العربي حول مسألة المرأة وسبل تحررها، وكذا ما تقدمه المرأة العربية بنفس طويل مستميت من انجازات ناجحة في مختلف الميادين وتصدرها لبعض المراكز العليا في الوظائف والأخراب وجمعيات المجتمع المدني والحقيقة إن تغيير وضعية المرأة العربية من واقعها المزري المسكوت عنه إلى واقع انساني أفضل مرهون بخرق ثقافة الجمود وخلخلة إيديولوجية السيطرة والاستعباد وإحلال ثقافة التغيير والتطوير الشاملة محلها.

فالمرأة ماانفكت تشكل «موضوعا سجاليا في مستوي التغيير الاجتماعي لأي مجتمع، على اعتبار أن تغيير الصورة الثابتة حولها من شأنه أن يحرر الذاكرة، ويهيئ التفكير لتقبل واستقبال صور غير مألوفة» [2]، لاسيما لدى الرجل إذ لابد من تغبير وعيه بقضية المرأة، واستضاءته بالمواقف التحررية ليكف عن محاصرتها، وليستبعد تبرمه بنضالها من أجل قضيتها، على أساس اعتبار قضيتها قضيته هو أيضا بل إنها قضية الجميع فإن تحرر المرأة من منظومات العلائق الاستبدادية، هو من تحرر الإنسان والوطن العربي لكون المجتمع العربي المعاق لن يتحرر ربما، تحررا تاما، ولن يتقدم إلى الأمام ما لم تتم معالجة قضية المرأة بفعل جذري من هنا يفرض سؤال التعبير نفسه على المرأة والرجل معا، ويحملهما مسؤولية التضحية من أجل استبدال واقع ظالم ضحيته الرجل والمرأة كلاهما، بمجتمع ديمقراطي وواقع آخر مفترض قوامة الحرية والعدل والمساواة،من شأنه أن يساعد على تغير المجتمع وتطور الأمة نحو الأفضل إن أي تعويم للقضية في صراعات هامشية، خصوصا تلك المفتعلة بين الرجل والمرأة ، لمن شأنه أن يسيء بطريقة أو أخرى إليها معا ويؤخر تحقيق الحلول الناجعة لقضية المرأة تخصيصا.

[1]-نفسه ص 36.
[2]-مجلة الآداب البيروتية ع1، 1981 ص24.

« إن فهما يختزل الإشكالية في ثنائية رجل امرأة، لهو فهم مغلوط في أحسن الأحوال أو مغرض هدفه إبعاد المرأة عن جوهر الصراع الحقيقي وتوريطها في إشكالات جانبية من شأنها تبديد جهدها وتنكيص مصداقيتها» [1] ولا يساعدها في إبراز ذاتها.

تكشف كتابات المرأة خاصة الروائية عن نزعتها الثائرة التي من خلالها تبوح سرها وتعلن عن مقاومتها بالقلم بحيث تعني لها الكتابة **التحرر** والصراع الدائم الذي يحمل معاني القلق الأنثوي والقلق النابض للحياة فهي تسعى من خلال كتاباتها إلى التخلص من سلطة المجتمع الأبوي الفارض سيطرته عليها «فتهتم» الكاتبة الجزائرية بشكل مميز بتوظيف كل ما يرمز للمؤنث بعرض التعبير عن حالتها النفسية ووصف ما يحيط واقعها المعيشي ومدي اندماجها في هذا الواقع الذي ينظر فيه إليها بنظرات مغايرة»[2]

ناضلت المرأة لعدة أشواط من أجل إبراز نفسها في المجتمع حيث كتبت المرأة وعبرت وصرخت وتجاوزت ولمعت في سماء الإبداع الكتابي حيث كان صوتها حادا يكسر جدار الصمت، ويلهب المشاعر.

فالكتابة عند المرأة إنما هي عبارة عن تفجير للمكبوت والمخفي الذي تعانيه المرأة.

---

[1]-نفسه ص25.

2- مجلة المناهل المغربية، العدد 5، 2001، 290

مقدمة

تعتبر ظاهرة العنف ضد المرأة لكونها أنثى، ظاهرة عالمية تعاني منها المرأة في كل مكان وأينما كانت، وإن اختلفت أشكالها، وتعددت ألوانه وانعكاساته المادية والمعنوية فطالما كانت ضحية للقهر الاجتماعي وظلم الرجل الذي يملك القوة لممارسة العنف ضدها، فهو من يعنف وهي من تعنف.

علي الرغم من الانتشار الواسع لهذه الظاهرة إلا أنها لم تحظ بالاهتمام الكافي إلا مؤخرا، حيث بدأت الحركة النسوية العالمية تؤكد أهمية ربط قضايا حقوق المرأة بقضايا حقوق الانسان، واعتبار العنف ضد المرأة انتهاكا صارخا لحقوقها الإنسانية.

ورغم التطورات الكبرى التي شهدها واقع المرأة دوليا منذ عقود، إلا أنه مازال العنف ضد المرأة وصمة عار في جبين الإنسانية، وهذه القضية تدخلت فيها الكثير من الاختصاصات في دراستها كالفلسفة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم القانون، وهي ظاهرة بشعة ومستكرهة، لم يستطع الإنسان التخلص منها رغم التقدم الحاصل.

يعتبر العنف ضد المرأة من أكثر مظاهر العنف انتشارا وشيوعا فهي من أكثر الفئات التي تواجه العنف وتتعرض له، خاصة في المجتمعات الجزائرية، وباعتبار أن العادات والتقاليد العربية تفرض على المرأة السكوت وعدم المطالبة بحقها من أجل الحفاظ على شرفها وشرف عائلتها، فتتزايد حالات العنف دون وجود أي رادع.

يعد العنف ضد المرأة سلوكا عنيفا متعمدا موجها نحو المرأة، ويأخذ عدة أشكال سواءً أكانت معنوية أم جسدية، والعنف ضد المرأة انتهاك واضح وصريح لحقوق الإنسان، إذ يمنعها من التمتع بحقوقها الكاملة، لكن في ظل كل هذا، ناضلت المرأة وقاومت لعدة أشواط من أجل إبراز نفسها في المجتمع، حيث كتبت المرأة وعبرت وصرخت وتجاوزت ولمعت في سماء الإبداع، حيث كان صوتها حادا يكسر جدار الصمت، فلما كانت للمرأة نصيب في

الحياة، أقدمت على التحدي واثبات الذات، لتأخذ حقها من الآخر الذي اغتصبه، فعمدت إلى عدة وسائل للحصول على هذا الحق المغتصب، ومن بين هذه الوسائل نجد :

اعتمدت على الكتابة، فتروي لنا عذاباتها المبكية، مطلقة للعنان لآلمها، لترتوي منه أترابها ومثيلاتها من النساء، فتنتعش ذاكرتهن ليقبلن على راية التحرر، فكتبت عن حياتها وتجاربها المعاشة بقلبها القوي وقلمها المنادي بالحق.

وتكلمت عن الممنوع و المحظور، وبذلك ترفع الستار عن كل ماهو محظور ومسكوت عنه ، فكانت هذه أول خطوة للتمرد النسوي في أدبنا الحديث، وهذا مافتح المجال للمرأة الجزائرية للتمرد على الظلم والاستبداد الذي عاشته، فتمردت على العادات والتقاليد المجحفة، والسلطة راغبة في الحرية التي كانت أملها الوحيد منذ عدة قرون للخروج من قوقعة الاستعباد، فالتمرد ضروري للمجتمعات.

وتأتي هذه الدراسة في إطار: الكشف عن معاناة المرأة الجزائرية، وقدرتها على المقاومة والكفاح ومواجهة العنف وتبيان مظاهر التمرد والمسكوت عنه في رواية شجرة مريم ومن الأسباب الموضوعية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع هو انتشار العنف في المجتمع بشكل عام وفي أوساط الأسرة والتزايد المخيف الذي يعرفه يوما بعد يوم، تعرض النساء للعنف أو للتهديد بالعنف، وعدم قدرتهن على الرد أو المواجهة في ظل غياب القوانين التي تحميهن للخروج من المنزل والتصريح به، معايشة التطور الذي عرفه المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة خاصة ما تنادى به الحركات النسوية والتجمعات المدنية في ضرورة تغيير واقع المرأة وموقعها في الحياة، و من الأسباب الذاتية الميل الشخصي للمواضيع التي تخص المرأة والمواضيع التي تحيط بها.

وللغوص في هذا الموضوع كان لابد من الإجابة على الإشكالية التي تفرض نفسها على البحث وهى: كيف تشكلت صورة مريم كشخصية مقاومة ومتمردة على المجتمع وقهره؟

وهذه الإشكالية تتفرع تحتها مجموعة من الأسئلة الفرعية، ما معنى العنف؟ ما هي أشكاله و أنواعه؟ كيف هي صورة المرأة الجزائرية؟ كيف تمردت المرأة الجزائرية؟.

أما المنهج الذي اقتضته الدراسة هو بعض إجراءات النقد السيميائي والنقد الثقافي.

لقد قسمت بحثي إلى: مقدمة، و فصل أول نظري جاء فيه ثلاثة مباحث: في الأول نجد مظاهر العنف و التمرد في الرواية النسوية الجزائرية يحتوي على مفهوم العنف لغة واصطلاحا، أما الثاني هو : صورة المرأة الجزائرية تحت وطأة المجتمع الأبوي. تعرضت فيه إلى التهميش الذي لحق بالمرأة. و الثالث فيه: تمرد المرأة الجزائرية يحتوي على كيفية مقاومة و تمرد المرأة، و فصل ثاني إجرائي، و قسمته أيضا إلى ثلاث مباحث فالأول عبارة عن : تحليل غلاف رواية شجرة مريم، فيه وصفت الغلاف، و الثاني: العنف الممارس على بطلة رواية مريم زمن العشرية السوداء و بعدها ذكرت فيه تداعيات العشرية على مريم، والثالث : تمرد و مقاومة البطلة على العنف الممارس ضدها فيه مريم تحدت المجتمع الذي قهرها، و من أهم المصادر و المراجع المعتمدة في هذا البحث فقد جاءت متنوعة و متعددة شملت كتب في الأدب و النقد النسوي، و من بين هذه المراجع الحديث مع الروائية سامية بن دريس عبر الموقع الإليكتروني.

وأنا حين خضت تجربة البحث واجهتني العديد من الصعوبات و العراقيل المتمثلة في: قلة المصادر و المراجع التي تخدم الموضوع، تناثر المعلومات، ضيق الوقت، قلة الدراسات السابقة.

الفصل الأول

مظاهر العنف و التمرد في الرواية النسوية الجزائرية

المبحث الأول:العنف الممارس ضد المرأة الجزائرية و أشكاله

المبحث الثاني: صورة المرأة الجزائرية تحت وطأة المجتمع الأبوي

المبحث الثالث: تمرد المرأة الجزائرية

المبحث الأول : العنف الممارس ضد المرأة الجزائرية وأشكاله سأتناول في هذا المبحث أشكال العنف الممارس ضد المرأة الجزائرية المادي والمعنوي والجسدي وقد يصل حتى إلى العنف النفسي، وأول ما سأتطرق اليه هو تعريف العنف من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

تعريف العنف:

أ-لغة:

كلمة عنف في اللغة العربية من الجذر "ع، ن، ف " وهو الفرق بالأمر وقلة الرفق به، وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره حيث قيل " يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف [1]

عنف عنفا وعنافة به وعليه أي لم يرفق به.

العنف الشدة والقسوة، ضد الرفق.

عنف : فلانا، لامه ووبخه بالتفريع و عنفه، أخذه بشدة و لم يرفق به فهو عنيف.

«وعنف به أو عليه عنفا و عنافة، أي بشدة و قسوة».[2]

أعنف: فلانا، أخذه بشدة و لم يرفق به.

اعتنق الرجل الأمر، أخذه بعنف و بشدة.

العنف و العنف و العنف: ضد الرفق.

و اعتنق الأمر:«أخذه بعنف و أتاه و ليكن على علم و دراية به، و اعتنق الطعام و الأرض كرهها، و اعتنق الأرض نفسها: نبت عليه.» [3].

[1]-جمال معتوق، لمدخل إلى علم الاجتماع الجنائي، أهم النظريات المفسرة للجريمة و الانحراف، ج1، دار مرابط، الجزائر 2008، ص303.

[2]-محمد الباشا: "الكافي" المعجم العربي الحديث، شركة المطبوعات، ط1، بيروت، لبنان، ص711.

[3]-علي مهنا "عبد الإله"، لسان اللسان، تهذيب لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكوم، ابن منظور عناية مكتب الثقافي للتحقيق الكتب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان1993، ص231.

يعرف العنف لغة على أنه العنف ضد الرفق و يراد به الشدة و الخرق هو الخرق بالأمر و قلة الرفق به و هو ضد الرفق، و ترجمة كلمة عنف للفرنسية تعني Violence و هي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية vis أي القوة و هي ماضي كلمة fero و التي " يحمل" و عليه فإن كلمة عنف Violence تعني "حمل القوة " أو تعمد ممارستها تجاه شخص أو شيء ما.

ب- العنف في علم النفس:

في علم النفس تتعدد التعريفات فنجد:

- **أن فرويد** : يرى أن العنف هو نزعة طبيعية في الإنسان و نستند إلى رغبة تدميرية "**لبيدوسالب**" و هي تعبر عن نزعة تلقائية لكل كائن عضوي نحو الموت، و يقابلها نزعة طبيعية أخرى نقيضة لها هي نزعة الحياة " **نزعة الايروس** " و التي تدفع الانسان إلى الابداع.
- **أما ايريك فروم:** يرى أن العنف ليس سلوك طبيعي أساسي و إن علم النفس الحيواني يؤكد أن الحيوانات لا تكون عنيفة إلا في حالات معينة، و إن العنف في هذه الحالات هو وسيلة و ليس غاية.
- **اما ستانلي ميلغام** فقد قام بإجراء تجربة اطلق عليها اسم" **الخضوع للسلطة** "واستخلص منها انه رغم ان هناك نزعة عدوانية طبيعة لدى الانسان ; الا أن الظروف التاريخية و الاجتماعية هي المحدد الاساسي لظهور العنف

ت- اصطلاحا :

تعرف الامم المتحدة العنف على انه « الفعل القائم على سلوك عنيف ينجم عنه الايذاء او المعناة " الجنسية, النفسية ".أو الحرمان النفسي من الحرية في الحياة العامة او الخاصة . تشير الموسوعة العلمية Universel ان مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف جماعة أو فرد ضد افراد اخرين عن طريق التعنيف قولا او فعلا و هو فعل عنيف يجسد القوة المادية أو المعنوية. ذكر قاموس Webster ان من معاني العنف ممارسة القوة الجسدية بغرض الاضرار بالشخص "كالمرأة او الطفل " , وقد يكون شكل هذا الضرر مادي من خلال ممارسة القوة الجسدية بالضرب او معنوي من خلال تعمد الاهانة المعنوية بالسب او التجريح او الاهانة .

وكما جاء في تصريح للحد من العنف ضد النساء و الذي تم تحديده من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1993 ما يلي:«أي فعل عنيف قائم على اساس الجنس ينجم عنه او يحتمل ان ينجم عنه اذى أو معاناة نفسية او جنسية أو جسمية للمرأة ,بما في ذلك التهديد باقتراف هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية ,سواء وقع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة» . [1]

كما نص الإعلان على وجوب ان يشمل مفهوم العنف ضد المرأة و دون أن يقتصر على الاتي :"العنف الجسدي و الجنسي والنفسي الذي يقع في الإطار الأسرة بما في ذلك الضرب المبرح و الإساءة الجنسية للأطفال و الأيناث في اللأسرة , و العنف الجسدي و الجنسي و النفسي الذي يقع في الإطار العام للمجتمع بما في ذلك الاغتصاب و الإساءة الجنسية و التحرش و الترهيب الجنسي في العمل ,الاتجار بالمرأة و البغاء القسري» [2]

[1] - P.Ladjali Malika, violence contre les femmes « rompu » , selon l'observation des droits de édition pilulaire de larmes , Alger 1997. P 111

[2] -فهيمة شرف الدين :"أصل واحد و صور كثيرة ",ثقافة العنف ضد المرأة,في لبنان ط1، دار الفارابي ,بيروت ,لبنان ,2002 ص - 15

إلا أن مفهوم العنف يتضمن ثلاث مفاهيم فرعية هي فكرة الشدة و الإيذاء و القوة المادية « كما يمكن تعريف العنف على أنه سلوك أو فعل يبتسم بالعدوانية يصدر عن طرف قد يكون فردا أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال و اجتماع طرف آخر في اطار علاقة قوة غير متكافئة اقتصاديا و سياسيا مما يتسبب في احداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى». [1]

و للتعمق أكثر فيفهم مصطلح العنف سنقارب هذا المصطلح من زاوية علم النفس.

يتسم القرن الواحد و عشرون بظاهرة العنف بوجه عام، حيث لم تسلم من هذه الظاهرة منطقة أو ثقافة، و هذه الظاهرة لا تمثل فقط تهديدا لمنجزات الانسان المادية و الاجتماعية، ولكنها حين تمتد نحو المرأة و الطفل أي الفئات الضعيفة التي يجب أن تحظى بمزيد من الرعاية و الاهتمام حين يتصاعد العنف و يصل للمرأة و الطفل فالتهديد يكون موجها نحو الضمير الانساني و نحو العمل الإنساني معا « تعتبر ظاهرة العنف ضد المرأة لكونها أنثى، ظاهرة عالمية تعاني منها المرأة في كل مكان و أينما كانت، و إن اختلفت أشكالها، و على الرغم من الانتشار الواسع لهذه الظاهرة إلا أنها لم تحظى بالاهتمام الكافي إلا مؤخرا حيث بدأت الحركة النسوية العالمية تؤكد على أهمية ربط قضايا حقوق المرأة بقضايا حقوق الإنسان و اعتبار العنف ضد المرأة انتهاكا صارخا لحقوقها الأساسية». [2] يعد العنف ضد المرأة هو سلوك عنيف متعمد موجه نحو المرأة، و يأخذ عدة أشكال سواء كانت: معنوية أو جسدية، و حسب تعريف الأمم المتحدة فإن العنف ضد المرأة هو السلوك الممارس ضد المرأة و المدفوع بالعصبية الجنسية، مما يؤدي إلى معاناة و أذى يلحق المرأة في الجوانب الجسدية و النفسية و الجنسية، و يعد التهديد بأي شكل من الأشكال و الحرمان و الحد من حرية المرأة في حياتها الخاصة أو العامة من ممارسات العنف ضد المرأة.

[1]- المرجع السابق ص18

[2]-"إعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة"، الأمم المتحدة، حقوق الإنسان، 20، 12، 1993، أطلع عليه بتاريخ 2017-7-20.

إن العنف ضد المرأة انتهاك واضح و صريح لحقوق الإنسان، إذ يمنعها من التمتع بحقوقها الكاملة، و له عواقب خطيرة لا تقتصر على المرأة فقط، بل تؤثر في المجتمع بأكمله، لما يترتب عليه من آثار اجتماعية و اقتصادية خطيرة، و من الجدير بالذكر أن العنف ضد المرأة لا يعرف ثقافة أو ديانة أو بلدا أو طبقة اجتماعية بعينها بل هو ظاهرة عامة.

«هو سلوك موجه ضد المرأة يقوم على القوة و الشدة و الإكراه، و يتسم بدرجات متفاوتة من التمييز و الإضطهاد و القهر ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل و المرأة في المجتمع و الأسرة و يتخذ أشكالا عديدة، و هي أعمال تلحق الإساءة أو الأذى بدنيا جنسيا و نفسيا. [1]

تجدر الإشارة إلى أن العنف ممارسة قديمة و متوارثة بين الأجيال توجد في جميع الطبقات و على جميع المستويات رغم تباين و اختلاف الديانات و الثقافات في النظر إليه.

يمكن تصنيف أي ممارسة ينتج عنها اذى جسماني و نفسي بالعنف، و يشمل ذلك التهديد أو الفعل، و هو يولد الحرمان و يشمل المنع من المشاركة و حق السيطرة او التملك و اتخاذ القرار الفردي، و هو إظهار اسلوب القوة و السيطرة عن طريق و سيلة آلية و عفوية لإحداث أذى جسدي أو اساليب لفظية أو طريقة معاملة تؤدي إلى علامة تسيء للفرد و تذله فالعنف ضد المرأة من المظاهر العالمية المعاصرة، فالأرقام و الأبحاث التي أجريت في هذا المجال تثبت أن الظاهرة أصبحت خطيرة و مستهجنة، إذ تتعرض نسبة كبيرة من النساء لعنف كبير من قبل الرجل، سواء كان زوجا أو أبا أو أخا أو أحد الأقارب »[2].

العنف في اللغة يعنى الخرق بالأمر، و يقال شخص عنيف أي لم يكن رفيقا في أمره و اعتنق الأمر أي أخذه بشدة، و من صور العنف هو العنف ضد المرأة حيث يمكن تعريفه بأنه أي عمل أو سلوك يرتكب بحق المرأة «سواء كانت أختا، أو أما، أو ابنة، أو حتى زوجة بقصد أو من غير قصد، حيث يلحق الضرر المباشر و الأذى النفسي، أو الجسدي

[1]-إبراهيم بلعادي- العنف المفهوم و الأبعاد-دراسة نقدية-ص16.
[2]-نفس المرجع ص17

أو الجنسي بها، و يشمل العنف أيضا أشكال السلوك و الأفعال الفردية و الجماعية تجاه المرأة و التي تلحق ضررا بها و تقلل من شأنها و قدرها في المجتمع و يحرمها من المشاركة و ممارسة حياتها بشكل طبيعيي كما يؤدي العنف ضد المرأة إلى حرمانها من ممارسة حقوقها المنصوصة عليها القانون ووسائل العنف ضد المرأة متعددة فقد يكون عن طريق التهديد أو الاستغلال أو الخداع أو التحرش أو الانقاص من امكانيات المرأة العقلية أو الجسدية، و قد يكون عن طريق إهانة كرامتها أو التقليل من احترامها لذاتها» [1] .

فالعنف هو استخدام للقوة أو كل سلوك مادي أو معنوي يرافقه قوة أو امتناع عن سلوك من شأنه أن يوقع ضرر أو أذى بالمرأة و الذي و قعته الأمم المتحدة بأنه : أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أذى أو معاناة جسدية أو جنسية أو نفسية للمرأة بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل و الاكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء و قع ذلك في الحياة العامة أو الخاصة.

يعرف العنف على أنه تصرف مكتسب و مؤذي يقوم به شخص تجاه شخص آخر يظنه أضعف منه بهدف ضبطه و الاساءة له و اهانته أو التقليل من مكانته أو نظرته لذاته، و هو استخدام غير شرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الضرر بالغير و يقترن العنف بالإكراه و التكليف و التقييد، وهو صورة من صور القوة المبذولة على نحو غير ثانوي بهدف إخضاع طرف لإدارة طرف آخر.

«عرف المجلس الأوروبي العنف ضد المرأة في العام 1986 بأنه عمل أو إهمال يضر بحياة المرأة و يؤذي التكامل الجسدي و النفسي أو الجنسي أو حرية أي شخص أو يؤذى بشكل كبير تطور الفرد بغض النظر إن كان ذكر أو أنثى». [2]

العنف المبنى على أساس النوع الاجتماعي:

[1]-عالية أحمد ضيف الله، العنف ضد المرأة بين الفقه و المواثيق الدولية، دراسة مقارنة، ط1، عمان، الأردن، 2010 ص21.

[2]-المرجع نفسه ص 22

هو العنف الذي تتعرض له المرأة كونها امرأة حيث ينظر لها المجتمع بدونيه و على أنها الأضعف و هو متعلق بالثقافة السائدة، و تتعرض له السيدات و الفتيات بالعادة و بكافة الأشكال "الجسدي، و الجنسي و النفسي و الاقتصادي و الاجتماعي ".

«فالعنف هو أي فعل ينجم عنه أذى أو معاناة تنعكس على حالة المرأة الصحية و النفسية، و الذي يمارس من قبل العائلة، أو الزوج، و غالبا ما يكون موجه من قبل فئة الذكور بحق فئة الإناث و يتدرج العنف من مرحلة الإيذاء و الحاق الضرر إلى القضاء على الحياة و القتل. فعلى الرغم من التقدم الذي و صل له العالم ما زال العنف ضد المرأة يمارس بكثرة في زاوية التسلط و الإهانة و عدم معرفة القيمة الحقيقية للمرأة، بالإضافة إلى الكثير من حوادث العنف التي لا تظهر و تبقى حبيسة الصمت و تأسر المرأة لتمنعها من الحياة التي تعد من أهم حقوقها و هذه الظاهرة تمارس منذ القدم حتى يومنا هذا».[1]

ثانيا: أشكال العنف ضد المرأة:

يتخذ العنف ضد المرأة أشكالا كثيرة مختلفة، تتجلى في استمرار أشكال متعددة و مترابطة و أحيانا متكررة. [2] و يمكن أن تشمل عنفا بدنيا و جنسيا و نفسيا و عاطفيا، و تتفاوت أشكال العنف ضد المرأة و مظاهره باختلاف السياق الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي المحدد.

يتمظهر العنف الموجه نحو المرأة بأشكال مختلفة لا يمكن على الإطلاق و ضع حدود بينها، ذلك أنها متداخلة خاصة من حيث الأثر الذي تتركه على المرأة"تتعرض المرأة للضرب مثلا يوقع أثرا جسديا و أثرا نفسيا أيضا" كما أن خصوصية هذا العنف تنبع من الخلفية التاريخية و السوسيولوجية القابعة وراء ظهوره في الوجود الاجتماعي ما يجعلنا في الأخير نصف كل أشكاله بمختلف التأثيرات التي تتركها على المرأة بأنه عنف رمزي

[1]-المرجع السابق ص23.

[2]-جويبة عبد الكامل، محظات من نظال المرأة في تاريخ الثورة الجزائرية مجلة المواقف عرب 1 163-170.

مختبئ لا يظهر للعيان تتغير مظاهره بتغير محددات المكان و الزمان و كذا المكانة الاجتماعية و الاقتصادية و التعليمية التي تحتلها المرأة و بالتالي نحاول الحديث هنا عن بعض أشكال العنف الموجه ضد المرأة حسب خصوصيات المجتمع الجزائري بصفة عامة.

أ- **العنف الجسدي:** «يعتبر العنف الجسدي من أكثر أشكال العنف و ضوحا، و عنف مباشر، عرف من طرف منظمة العمل الدولية العنف بأنه: "استخدام القدرة الجسدية ضد شخص آخر أو مجموعة أشخاص ينتج عنها أذى جسدي أو نفسي أو جنسي، و هو يشمل الأفعال المحتوية على **الضرب، الركل، الصفع، الخنق، الضرب بأداة حادة، الدفع، العض، المسك....**»[1]

من التعريف يتضح أن العنف الجسدي الموجه نحو المرأة عنف ظاهر للعيان تستخدم فيه قوة بدنية أي استخدام اليدين و الرجلين بحيث توجه اللكمات و الضربات للضحية على الوجه و الرأس و سائر مناطق الجسم، كما قد يتم اللجوء إلى أدوات أخرى في ممارسة العنف الجسدي مثل **الكرسي، الزجاج، العصا، السكين**..... أي أن العنف الجسدي فعل أو امتناع عمدي "**أي عدم منع الأذى عن المرأة متعمدا**" يمس سلامة جسم المرأة و يؤدي إلى الإخلال الطبيعي لوظائف أعضائها أو ينقص من تكامل الجسد أو يوجد ألاما لم تكن تشعر بها قبل الاعتداء عليها بالعنف الجسدي، و لكون هذا الأخير "**العنف الجسدي**" عنف ظاهر و ملموس .

«يمكن تقديم الدليل عليه, فأن القانون يعاقب على هذا السلوك و يردعه حسب درجة خطورته و أثاره الواقعة على الضحية و العقوبة هنا تتوقف على مدى أبلاغ المرأة القائمين على تطبيق القوانين عن العنف المتعرضة له. و بالنظر ألى الأطراف الممارسة للعنف

[1]-زهير حطب و عباس مكي: السلطة الأبوية و الشباب، معهد الإنهاء العربي، بيروت لبنان 1991 ص18.

الجسدي نجده يرتبط نوعا ما ب "**مستويات التطور الاجتماعي و الاقتصادي** ,يمكن القول أنه في المجتمع التقليدي و المحافظ تكاد تقتصر فيه ممارسة الضرب و الإيذاء الجسدي للمرأة على الأهل و الأقارب ,ذلك أن العادات و التقاليد و الأعراف تجرم ضرب المرأة و أذائها جسديا من قبل الاخرين ,و تعتبره عيبا يوصم من يمارسه بالعار» " [1] ,في حين نجد أن المجتمع و بعد تحوله عن المجتمع التقليدي الأبوي بغض النظر عن هذا التحول عرف عنفا جسديا تتعرض له المرأة من قبل أطراف خارج دائرة الاهل و الأقارب سواء أكان في المدرسة أو العمل أو الشارع...

العنف الجسدي هو استخدام القوة الجسدية من قبل أي شخص من شأنه أن يترك اثارا واضحة و يتسبب في أضرار جسدية ،و يعتبر العنف الجسدي من أكثر أشكال العنف وضوحا و شيوعا مثل الضرب و الشد و غيرها من الأفعال ، و يقع ضمن هذا النوع من العنف الحرمان من الحاجات الأساسية مثل **الطعام و الماء و المأوى** و الذي من شأنه أن يحدث أذى جسدي . فالعنف الجسدي من أكثر أنواع العنف انتشارا ضد المرأة، و عادة ما يتسبب بها زوجها أو أحد أفراد عائلتها من الذكور ويشمل هذا النوع من العنف أي أذى جسدي يلحق بالمرأة ، سواء كان اعتداء بالضرب أو باستخدام الة ، و تترتب على العنف الجسدي مخاطر صحية و نفسية كبيرة للضحية ، «و قد يتسبب في بعض الأحيان بوفاة الضحية نتيجة القوة

المفرطة و الضرب المبرح الذي تعرضت له [2] كما يشمل العنف الجسدي جرائم الشرف التي ترتكب بحق المرأة في حال التشكيك بعقتها من قبل احد أفراد

[1] - جمال حيرش: التمثلات الاجتماعية: أسس المقاربة النظرية و آفاق البحث في الحقل السيكوسوسيولوجي، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، سداسية محكمة تصدر عن جامعة جيجل، العدد الاول، الجزائر، 2006.

[2]-– أشكال العنف ضد المرأة: الجزء الثاني، العنف الجسدي و النفسي أبواب 8-10-2016 أطلع عليه بتاريخ 29-07-2019

أسرتها الذكور» [1]. ويكون العنف الجسدي بالأعتداء بالضرب على جسد المرأة ،و يمكن تعريف هذا النوع من العنف على أنه كل فعل بسبب أذية جسدية او يهدف للإيذاء و الإيلام جسديا و ستهدف المرأة بشكل خاص .

أ- العنف النفسي: العنف النفسي هو كل سلوك يقوم على الاساءة النفسية للمرأة من إضعاف ثقتها بذاتها و الإخلال بإحساسها بالقدرة و الثقة، و يبدأ بالنقد الغير مبرر و التهكم و السخرية و الإهانة و البذاءة و الاستخدام الدائم للتهديد و إثارة الشائعات، المراقبة، الإحراج توجيه اللوم إساءة الظن ويعتبر العنف النفسي من أخطر أنواع العنف ذلك لأنه عنف غير محسوس أو غير ملموس وليس له أثر واضح و إنما آثاره المدمرة تقع على الصحة النفسية للضحية ويتمظهر العنف النفسي الواقع على المرأة في مجموعة من الصور:

1- **العنف باستخدام الألفاظ أو الكلام:** يعد العنف اللفظي من أشد أنواع العنف خطرا على الصحة النفسية للمرأة، حيث يترك أثارا واضحة للعيان يتم فيه توجيه الفعل مباشرة إليها باستخدام ألفاظ هجومية مباشرة. وهو عنف يقف عند حدود الكلام و الإهانات ومن أشكاله **السب، الشتم،** و استخدام الألفاظ البذيئة بحق المرأة، الصراخ الدائم و القاسي على المرأة لانجاز العمل على أساس أنه أفضل وسيلة للتواصل معها.

2- **العنف باستخدام التهديد:** التهديد هو التوعد باستخدام القوة المادية أو السلطة "قوة نفسية« ينتج عنه أذى جسدي نفسي، أو أثار أخرى سلبية للأفراد أو الجماعات الموجه التهديد نحوهم و يتم التهديد بأشكال متعددة منها التهديد بالضرب أو التهديد بالطلاق أو التهديد بتقييد الحرية أو التهديد بالإرغام على مالا تحبه المرأة، التهديد بفرض عقوبات» [2].

---

[1]-– كريمة هادف : حق المرأة في الميراث بين إنصاف الشرع و ظلم العرف، جريدة الفجر الجزائرية ، العدد 4338، 2015

2-العنف ضد المرأة، الحالة الراهنة، الأمم المتحدة حملة اتحدوا لإنهاء العنف ضد المرأة، إطلع عليه بتاريخ 18-08-2019.

3-العنف باستخدام الإيحاءات أو الاشارات أو الامتناع عن القيام بفعل ما:

المقصود هنا هو الممارسة العنيفة السلبية أي التي تحدث أثرا رغم عدم تلفظ الفاعل بأي كلمة و يبدو هذا الشكل من العنف في مجموعة من المظاهر الامتناع عن الكلام معها، توجيه نظرات الازدراء و الاحتقار و الاشمئزاز و التوعد نحوها التمييز في التعامل بينها وبين الرجل التكلم معها بالإشارة كأن يطلب منها الذهاب أو السكوت باليد، عدم رد التحية عليها، عدم الجلوس و النوم معها "في حال الزوج" عدم الأكل معها أو الامتناع عن أكل الطعام الذي تعده.

عدم الاهتمام بها و بكل ما يعنيها و عدم الاعتناء بها في حال المرض و الامتناع عن تقديم المساعدة لها.«العنف النفسي هو النوع الأكثر تأثيرا على الصحة النفسية للمرأة، ويمكن أن يكون عنفا لفظيا أو لفظي، و يكون العنف اللفظي بشتم المرأة بألفاظ بذيئة وجر كرامتها أمام الآخرين، كما يكون العنف النفسي بالسخرية منها و تحقيرها و عدم ابداء أي اهتمام لها. يعد العنف الممارس ضد المرأة من خلال ألفاظ مهينة أو شتائم تنقص من قدرها بالإضافة إلى التهديد بالطلاق، وللعنف النفسي آثار سلبية تنعكس على نفسية المرأة، بالرغم من عدم وجود آثار واضحة، إلا أنه يؤدي إلى إصابة المرأة بأمراض نفسية حادة كالاكتئاب» [1]

العنف الجنسي: الحديث عن العنف الجنسي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع الجزائري من الخصوصية بمكان ذلك أنه يضعنا أمام أحد أكبر الطابوهات التي لا يمكن الحديث عنها على الأقل بشكل علني أو خارج الإطار الأكاديمي «لأنه مع العنف الجنسي يصل القهر الذي يمارس على المرأة درجة صارخة يختزل المرأة إلى حدود جسدها و يختزل هذا الجسد إلى بعده الجنسي: المرأة مجرد جنس أو أداة للجنس، وعاء للمتعة هذا الاختزال يؤدي مباشرة إلى تضخم البعد الجنسي لجسد المرأة بشكل مفرط وعلى حساب بقية أبعاد حياتها...

[1]-"التهديد بالطلاق أبسط أنواع العنف ضد المرأة"، 6-12-2005 اطلع عليه بتاريخ 1-8-2019.

كما يفجر كل مخاوفها الوجودية حول حلول كارثة ما تعصف بوجودها، هاجس المرأة قبل الزواج يتحول إلى قلق حول غشاء البكارة و سلامته و إلى قلق حول قدرات الجسد على حيازة إعجاب الرجل» [1]

ب- لذا نجد الواقع يطلعنا على هروب وانتحار أو محاولات انتحار فتيات مارسن الجنس خارج الأطر المسموح بها اجتماعيا خوفا من رفض وعقاب المجتمع بكل تشكيلاته عليهن و الذي المجتمع–يغفر و تتجاوز على رجال وقعوا في نفس الفعل.إن خصوصية العنف الجنسي مقارنة بباقي أشكال العنف تزداد تعقدا أو بالأخرى كلما اتجهنا إلى القضاء الداخلي الخاص بالمرأة إذ أنه و بمجرد ذكر العنف الجنسي تتجه الأنظار بالتركيز على الاغتصاب أو التحرش الذي تتعرض له المرأة من قبل أشخاص خارج محيطها العائلي الذي يعتبر هو الآخر في حقيبة الأمر و سطا يمارس فيه العنف الجنسي ضد المرأة خاصة الزوج الذي نمطت المرأة منذ البدايات الأولى لنشأتها على أنها الخادمة الخجولة المسالمة و المستسلمة لكل رغباته الجنسية متى أراد هو ذلك دون مراعاة لرغبتها التي لا يجب أن تعبر عنها و إلا خرجت من دائرة الحشمة، و إذا تحدثنا عن عدم دقة الإحصائيات المقدمة عن العنف ضد المرأة فإنها تزداد عدم دقة إذا خصصنا الحديث عن شدة خطورته بالأرقام المعلن عنها و ما خفي أكبر حيث أحصت مصالح الدرك الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 2000 إلى 2006 أي في مدة 6 سنوات حوالي 5 آلاف فعل مخل بالحياء و في عام 2006 فقط أكثر من 1153 حالة اعتداء جنسي تعددت صوره و أشكاله و الأطراف المتسببة فيه» [2]

و بالتالي العنف الجنسي يظهر في كافة الفضاءات داخل المحيط العائلي للمرأة و خارجه ومن أشكاله: الانتهاك الجنسي للزوجة الاغتصاب التحرش أو المضايقة الجنسية.

فالعنف الجنسي هو أي نوع من النشاط الجنسي الغير مرغوب به، و قد يحدث الاعتداء الجنسي من خلال القوة الجسدية أو التهديد بالقوة، أو أن يسيطر المعتدي على الضحية من

[1]-محمد السويدي: من مشكلات الأسرة النازحة في الوسط الحضري، مجلة المجاهد، عدد 1314، سبتمبر 1985.
[2]-محمد حمداوي: المرأة بين الأسرة و المجتمع، الازدواجية و العنف المعنوي، الملتقى الوطني حول المرأة "نساء" وجهات نظر مختلفة و تعددية أفكار، وزارة التضامن 1998.

خلال مادة المخدرات أو الكحول و يشمل العنف الجنسي: الاغتصاب و الاكراه الجنسي، أو إجبار الضحية على النظر إلى الصور الجنسية [1] .

[1] -www.womenehealth.goo.Retrieved edited 26-7-2018. 14 H

المبحث الثاني: صورة المرأة الجزائرية تحت وطأة المجتمع الأبوي.

أردت من هذا المبحث الوقوف على معالم الذات الأنثوية، قضاياها وانشغالاتها وهي تصارع المجتمع ألبطريكي –الذكوري– المحمل بالسيطرة القامعة، ولهذا فهي تصارع داخليا طموحاتها الناجمة عن أزمة البحث عن الهوية الأنثوية المفقودة تحت سيطرة الآخر المغاير لجنسها فالمرأة كانت ومازالت في التصور غير العادل الأقل أهمية في ثنائية الآخر.

«تختلط على كثير من الناس الأسباب التي من أجلها يضع المجتمع امرأة في مرتبة أقل من الرجل، ويفرض عليها قيودا لا يفرضها على الرجل، ويحدد لها دورا معينا في الحياة،ى يرتكز أساسا على الخدمة في البيت ورعاية الأطفال، وقليل جدا من الناس من لا يدرك الأسباب الحقيقية وراء تلك الفروق الضخمة التي وضعتها ويتجاهل أن تلك الفروق من صنع المجتمع» [1].لقد تعرضت المرأة الجزائرية للكتب والصمت على مر العقود وفي مختلف الحضارات الثقافات وان قراءة التاريخ ودراسة التطورات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات توصل الباحث إلى أنه بالرغم من اختلاف المناطق والأزمان وأساليب الإنتاج نجد بين معظم الحضارات خيطا جامعا يقوم على اعتبار جنس الذكر هو الجنس المتميز السيد المسيطر وعلى تبعية جنس الأنثى للرجل وخضوعها له، وقد حددت لها مسبقا الصفات المرغوبة اجتماعيا والتي يجب أن تتحلى بها، و جاءت تعاليم الأديان أيضا لتؤكل بعض تلك السمات المطلوبة مثل **الصمت والطاعة المطلقة،** فقد جاء في المسيحية "أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة" وجاء أيضا "لتعلم المرأة بسكوت وفي كالخضوع ووردت صفات

[1]-نوال السعداوي، دراسات عن المرأة و الرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1990،ص50.

الزوجة أيضا في الكتاب لمقدس كما يلي "انتقي لنفسه زوجة تكون لطيفة وهادئة وصادقة وصامتة خدومة ومتواضعة محبة ومخلصة ومطيعة».[1]

لقد تعرضت مسيرة المرأة عبر التاريخ للكثير من الصعوبات، ولم تكن المرأة الجزائرية بأوفر حظا من غيرها، حيث أنها بقيت في الكثير من فترات حياتها تدور في فلك الرجل وتتبع له. فالمرأة كانت تحت سيطرة الرجل فلم يكن لها دور في المجتمع، فكانت خاضعة للآخر الذي فرض عليها نفوذه وغطرسته لتكون دائما وأبدا تحت رحمته.

إن الصورة السائدة للمرأة ي مجتمعنا العربي أنها ابنة المجتمع الأبوي الخاضعة لعاداته وتقاليده، المتشربة قيمة تؤمن بدونية المرأة وتفوق الرجل، وبعد الرجل محور حياتها بوصفة الملجأ والمعيل الوحيد لها،« يشير المصطلح الأبوي إلى علاقات القوة التي تخضع في إطارها مصالح المرأة لمصالح الرجل، وتتخذ هذه العلاقات صورا متعددة بدءا من تقسيم العمل على أساس الجنس والتنظيم الاجتماعي لعملية الإنجاب إلى المعايير الداخلية للأنوثة التي تعيش بها وتستند السلطة الأبوية إلى المعني الاجتماعي الذي تم إكفاءه على الفروق الجنسية البيولوجية» [2]

تتجلى صورة المرأة في الزوجة السلبية، والأم التي تفضل أبناءها الذكور على الإناث إذا تحرص الزوجة على تنفيذ أوامر زوجها وتلبية رغباته بعض النظر عن رغباتها هي، ينحصر عالمها في البيت فتقضي الساعات الطوال في تنظيم شئونه لا تملك استقلالية لذا تعاني من مختلف أشكال التبعية وهذا يفسر عدم امتلاكها هوية خاصة بها.

«لم يكن وضع المرأة في العالم العربي مختلف عن ما كان عليه في مناطق أخرى من العالم، حيث مر هذا الوضع عبر التاريخ بمراحل من التمييز، مما أدى لخضوع المرأة لقيود على حقوقها وحورياتها بعض هذه القيود تأسست على المعتقدات الدينية، ولكن العديد من هذه القيود ترجع إلى الثقافة كما تنبع من التقاليد أكثر من كونها قائمة على المعتقدات الدينية، وتمثل هذه القيود عقبة نحو حقوق وحريات المرأة، وتنعكس بالتالي على القوانين والتشريعات المتعلقة بالعدالة الجنائية والاقتصاد و التعليم وكذا الرعاية الصحية، والمهنية .

[1]-حسين درويش العاجمي، مجلة النبأ، عدد 78 مارس، 2008 ص25.
[2]-سارة جامبل، النسوية و ما بعد النسوية ، ط1، دار الكتب و الوثائق القومية، 2002، ص22.

فكانت المرأة العربية مظلومة فكان الرجل هو الذي يحق عليها كل شيء». [1]

رغم التطورات الكبرى التي شهدها واقع المرأة دوليا منذ عقود إلا أنه مازال التهميش ضد المرأة وصمة عار في جبين الإنسانية. أكيد أن الكل يعلم مدى معاناة المرة عامة، والمرأة الجزائرية خاصة في الماضي والحاضر، مع غياب إنسانيتها في البيت والحياة، تحت حجر تقاليد مجحفة، كرست خلال عهود الانحطاط الوضعية المختلفة لواقعها في البيت والمجتمع فرغم ما حققته راهنا من بعض الحقوق، نتيجة نضالها وفرض جدارتها في المنزل والعمل والفكر والإبداع بصورة بطولية، قدمت من أجلها كثيرا من التضحيات الجسيمة، فإنها مافتئت بعد تئن تحت وطأة ترسانة من القوانين الظالمة، والممارسات الذكورية المتسلطة، وأكيد أنه مازال أمامها زمن مديد من الكفاح والنضال والاحتجاج في وجه واقعها البائس وأشواط طويلة من الصعوبات والاحباطات والاحتجاج في وجه واقعها البائس وأشواط طويلة من الصعوبات والاحباطات، وفقا ما تشرحه : خالدة سعيد.

«ما لم تتحقق للمرأة المساواة التامة على الصعيدين القانوني والواقعي، و يتحرر الناس رجالا ونساء من الأفكار المسبقة عن المرأة وهي أفكار تكونت على مر العصور من خرافات وتصورات غير علمية، ومركبات نقص أو استعلاء وما لم تصبح البنى الاجتماعية مهيأة لانطلاق شخصية المرأة وتفتحها في مناخ من الحرية ومن احترام الشخص الإنساني، بعيدا عن كل تمييز واضطهاد بسبب الجنس أو العرق كما جاء في بيان حقوق الإنسان ما لم يتحقق هذا كله، ستبقي هذه القضية مفتوحة»[2]

فصورة المرأة في المجتمع صورة مشدودة إلى الواقع القمعي المتخلف الذي ضيع كل حقوقها، وحبط كل إمكانياتها الإبداعية، وعاق محاولاتها الرامية إلى المساهمة في دورة الحياة العملية. التي رضخت واستسلمت للواقع المتخلف بعاداته وتقاليده وأعرافه البالية.

ففي الجزائر خاصة ينظر الرجل إلى المرأة نظرة دونية ونظرة تهميش واحتقار فالمرأة مشدودة بحبال التقاليد و الأعراف القاسية.

فالمرأة في المجتمع للأسف ذليلة ومهمشة وهذا يعود إلى الماضي المغلف بأسطورة جرم المرأة المقيد لحرية المرأة وهناك من ينظر إلى المرأة بنظرة دونية ويرى بأنها إنسان ضعيف تابع لا تستطيع أن تفكر بطريقة سليمة وغير قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، ويجب التدخل في جميع شؤونها واتخاذ جميع القرارات الهامة نيابة عنها لعدم قدرتها على القيام بذلك بنفسها.

---

[1]-المرجع السابق، ص23.

[2]-خالدة سعيد، المرأة التحرر الإبداع نشر الفنك، الدار البيضاء ص 69.

لا تنكر بأن هذه النظرة الدونية للمرأة من قبل البعض أدت إلى ممارسة العنف ضدها بالضرب والشتم وغيره من أشكال التعنيف، سواء من الأب أو الأخ أو الزوج

«بالإضافة إلى حرمانها من التعليم وإجبارها على الزواج قسرا دون موافقتها أو عدم تزويجها من قبل الأب للحصول على راتبها الشهري أو حرمانها من الميزات، وكأننا عدنا إلى عصور الجاهلية، وغيرها من الممارسات و الأمور الموجودة ضد المرأة في مجتمعنا» (1)

تنطلق كثير من الروائيات في أعمالهن من نقطة جوهرية نابعة من إحساسهن بالمهانة والقمع في مجتمع ذكوري متسلط ملئ بالضغوط من جوانب عدة فهي منذ القدم بل ومنذ لحظة خروجها من رحم أمها تلافي الرفض والنظرة الدونية، إذ تعد مصدر شؤون للعائلة وهم وعار على عكس إن كان المولود ذكرا، أين يقدم البشر والسرور وتقام على شرفه الحفلات الأفراح بينما توأد وهي صبية وترغم على الزواج دون أخذ رأيها، وقد يؤتى عليها بأخرى، أي بضرة فتركن في الرف بلا قيمة، وإذا أنجبت بنتا فلا شك أن الخلل منها وفيها.... تدان بكل شيء كونها سبب علة المجتمع. وتقول **"فضيلة الفاروق"** في روايتها **"تاء الخجل** وهي تصف معاناة المرأة « منذ العائلة منذ المدرسة.... منذ التقاليد....منذ الإرهاب كل شيء كان تاء الخجل كل شيء عنهن تاء للخجل منذ أسمائنا التي تتعثر عن آخر حرف منذ العبوس الذي يستقبلنا عند الولادة، منذ أقدم من هذا منذ الجواري والحريم منذ الحروب التى تقوم من أجل مزيد من الغنائم، منهن.. إلى أنا لاشيء تغير سوى تنوع في وسائل القمع وانتهاك كرامة النساء لهذا كثيرا ما هربت من أنوثتي»[(2)]

نجد الدافع الحقيقي وراء قمع حرية المرأة يتجلى في الخوف الداخلي الكامن في نفسية الرجل وحبه للتملك والتسلط الذي يكمن من خلال القضاء على رغبتها

[1]-بن خميسي زكية، أسباب العنف ضد المرأة المتزوجة في المجتمع الجزائري-دراسة ميدانية- جامعة ورقلة، 2012-2013، ص36.

[2]-فضيلة الفاروق، تاء الخجل، الناشر رياض الريس للكتب و النشر-الجزائر، 2003 ص 11-12

ليبقى محور الاهتمام ومن أجل هذه الوضعية التي استمرت وطال أمدها وفي هذا الصدد تحدثت **"هي زيادة"** «بقلب راغب بالحاح في التغيير في مقالها المعنون **"تاريخ المرأة استشهاد طويل** الذي تعرضت فيه إلى هذه القضية وأنهت هذا المقال بإلقاء اللوم على الرجل ووجهت أصابع الاتهام له لأنه ساهم بشكل كبير في تأخير المرأة ومسايرتها ركب الأدب حيث تقول:**"أيها الرجل لقد أذللتني فكنت ذليلا، حررني لتكون حرا، حررني لتحرر الإنسانية»** [1].

مما سبق نتوصل إلى أن المرأة لم يعطي لها حقها ومنزلتها ويكمن هذا في نظرة الآخر لها بنظرة احتقار وتكريس الجهود لتهمشيها ووضعها دائما في المرتبة الثانية، والإشكال الذي يطرح نفسه ليس في الفرق بن الجنسين ذكرا أنثي وإنما يتجلى في الخلفيات التي تحتقر كل ما هو نسوي، فوضع المرأة قائم على التهميش والإقصاد في جميع حقوقها.

استعبد هذا النظام القمعي على المرأة، فأضحت ضحية، بعد أن روجت فتن وعادات لا أصل لها من الصحة، تستهدف وضع النساء في مرتبة أدني من الرجال، فهذا المجتمع تغيب فيه المساواة بين الجنسين، فالذكر بيده كل شيء هو الأمر والناهي يمنع الأنثى من خروجها للعمل أو التعليم ويعتبره عارا لها وله بحكم أنه تابعه.

<<فالمرأة أضحت تحت سيطرة المجتمع البطريركى فيه الرجل كالإله. بينما المرأة نصف إنسان تخضع لكل سلطة داخل الإطار الهرمي بداية من الأب ثم الأخ ثم الزوج ثم الابن.

جدير بالذكر أن هذا النظام لا يقوم علي مفهوم التخصص وتقسيم العمل كما هو الحال في الأنظمة الحديثة، المتقدمة والمتطورة، فهذا يتعارض مع مفهوم القبيلة والعشيرة والعائلة، وهو ما يبرر بوضوح حالة التخلف والقمع الذي يعيشه العالم العربي بالأخص في الجزائر كأمور مثل: استقلال المرأة، وتساويها مع الرجل، والكفاءة أساس تقييم الفرد وليس جنسه» [2]

أما تهميش المرأة وسلب حقوقها والاستهانة بمشاعرها وتحطيم رغباتها والوقوف في طريقها فهي أمور يعجز القلم عن الإحاطة بها مهما كان الشرح والإفاضة، ولكن لنا أن تأتي بإلمامة بسيطة ورؤوس أقلام من الواقع المعاش في سجل حياتها وهمومها، فهي كثيرا ما تجبر وتفسر على الزواج ممن لا ترغب ولا تحب وإذا اعترضت أو امتنعت فمصيرها العنوسة والبقاء في المنزل بقية عمرها تحت مظلة من لا يحترم مشاعرها وإنسانيتها.

[1]- مي زيادة، كلمات و إشارات، دار العلم للملايين، ط4، 1999، ص 43.
[2]_ المرجع السابق، ص44.

«وهناك من يزوجها ويتركها تحت رحمة زوج أرعن يقلب حياتها جحيما لا يطاق أو يطلقها أو يهجرها مع أطفالها بدون رعاية أو نفقة أو يكون من فئة الأزواج الذين يكثرون السفر أو يألفون السهر طوال الليل خارج المنزل أما شر ذمة من الأزواج فهم يحرصون على الزواج من عاملة أو معلمة وقد أضمر الشر لسلب حقوقها وابتزازها ماديا مستغلا ضعفها وحياءها وأنها لا تستطيع رفع صوتها في مجتمع مع الأسف لازالت بعض العادات والتقاليد المجحفة فيه تقوي شوكة الرجل ضد المرأة.» [1]

في هذا الإطار تناول العديد من الأدبيات والدراسات مفهوم النظام الأبوي في إطار الإشارة للهيمنة الذكورية وفي إطار هيمنة الرجل على المرأة، «حيث نجد أن مفهوم النظام الأبوي عند "**غيردالير**نو" هو "تجلي و مؤسسة للهيمنة الذكورية على النساء و الأطفال في الأسرة، و توسيع الهيمنة الذكورية على النساء في المجتمع عامة.

فهذا التعريف و فقا **لليرنر** أن الرجال يتولون السلطة في جميع مؤسسات المجتمع المهمة، و أن النساء محرومات من كهذه». [2]

[1]-الحصين، أحمد بن عبد العزيز، المرأة المسلمة أمام التحديات، ط2، دار عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع الرياض السعودية، 2004، ص44.

[2]-غيردالير نز، نشأة النظام الأبوي، ترجمة أسامة إسبر، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2013، ص 450.

على فكرة تأصل أن الرجال و النساء خلقوا على نحو مختلف و لهدفين مختلفين، و أن الرجال يمتلكون ذهنا مفكرا و ذكاءا و قدرة على القيادة. و من ثم من المقدر عليهم أن يمثلوا النظام و الحكم فيما ينظر للنساء كونهن أقل على المستوى الفكري و لذلك يجب أن يخضعن و يصبحن متكلات على الرجال.«تتجلى صورة المرأة خاصة التقليدية، على تنفيذ أوامر زوجها و تلبية رغباته بغض النظر عن رغباتها هي، و ينحصر عالمها في البيت فتقضي الساعات الطوال في تنظيم شؤونه، لذا تعاني من مختلف أشكال التبعية، و هذا يفسر عدم امتلاكها هوية خاصة بها، "إن النظرة التقليدية تختزل إلى المرأة جسدها، فأنوثتها هي قدرها، و محددة لمصيرها، الأنوثة هي العلة» [1]

في مجتمعنا خاصة الجزائر تقتضي ثقافته بجعل السيطرة و السلطة بين أيدي كبير العائلة أو الجماعة القرابة، "و الاعتقاد بالتفوق الرجل بدنيا و اجتماعيا androcracy و بانخفاظ مركز المرأة و طبقا لهذا النظام ينتسب الأولاد للأب patri linéal و تقيم الزوجة حيث يوجد مسكن الزوج patrilocal و يحمل الأولاد اسم الأب patronymie .

«المرأة بشكل عام في هذه البقعة مهمشة، واستيقظت في وقت متأخر و هي تشاهد و تستنكر هذا التهميش و القيود التي وضعت من دون حق أو مشرع ديني لها، ففي التقاليد عقيدة وفي العقيدة تلوين كاذب من هؤلاء الدعاة الذين يظنون أنهم سيحكمون المجتمع عندما يدلوا برأيه في شؤون المرأة وأحكام مخصصة في أوهامهم الوسواس وتهز منابرهم في الحديث عنها، المثير في الرأي أنه يلاقي تصفيقا حارا لأقواله ويتم تطبيقه وفق الضوابط الشرعية و هكذا تشابه عليهم قول الباطل و قول الله». [2]

مراحل دفن المرأة ابتدأت منذ طفولتها وهي تعامل على أنها امرأة ودعوا المتشددين أنها حلوى ويجب أن تلبس الحجاب من الصغر حتى لا يشتهيها الذكور فإذا الطفولة نحرت بأي ذنب قتلت!حتى وإن وصلت إلى سن البلوغ تبقى تابعة لوليها فهي قاصر حكم عليها الذي أفتونا بأن المرأة ناقصة عقل ودين ولزم عليها أن تكون أمة و مع سيدها حتى تنتقل كفالتها من الأب إلى الزوج.

[1]-مركز دراسات الوحدة العربية بين ثقل الواقع و تطلعات التحرر ص 37.
[2]-بدوي أحمد زكي معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، ط2، بيروت مكتبة لبنان 1982، ص307.

كان الفلاسفة قديما يحطون من شأنها، و يقللون من قيمتها، اعتبروها ناقصة عقل، حيوانية الطبع، غريزية السلوك [1].

فهذا تقليل من شأن المرأة وأدبها، كونهم يرون أن المرأة ضعيفة، إذ أنها تحتكم إلى العواطف و ليس العقل، وهذا بغرض قتل لشخصية المرأة وإعدام لكينونتها، وقد همشت لأنهم اعتبروا المرأة لفظ يعني طعم من التطعيم، و هذا ما يدل عليه النص الأتي: «إن كلمة المرأة في اللغة مشتقة فعل امرأ أي طعم ومن هنا تواجهنا صلة المرأة بالطعام و تجمع المرأة على غير اشتقاقها فيقال نساء المناكح ومن هنا تواجهنا صلة المرأة بالجنس وإذا تناولنا أصل النساء وجدناه مشتقا من فعل نسي نسو معناه ترك العمل و كأننا نعني بالمرأة البطالة». [2] ففي هذا النص تذليل للمرأة.

نخلص في ذلك إلى حقيقة مؤلمة مفزعة و مخجلة وهي لا تعدو أن تكون حلقة في مسلسل أو مخطط تسلطي متوارث أساسه و غايته كما قلنا من قبل هو تهميش المرأة و النيل منها وتحطيم آمالها و طموحاتها في مستقبل الحياة الفاضلة والكريمة والعودة بها إلى الوراء إلى سنين التخلف والجهل و الانطواء وهي بالتالي حملة محبوكة الأطراف وتجد لها مع الأسف من يناصرها ويدافع عنها من أشباه الأميين والمتحجرين ومن أسرى التقاليد المتوارثة البالية والعادات الجاهلية التي يستميتون

للاحتفاظ بها والدفاع عنها حيث يريدون كما أشرنا سلفا العودة بالمرأة إلى سنين الضعف والهوان التي كانت تعتبر المرأة من سقط المتاع و إنسانة من الدرجة الثالثة أي بعد الرجال والأطفال وتجدهم يبررون صدق أوهامهم بحجج متهالكة نابعة من مخيلتهم المتهرئة.

لقد استخلصت من برنا مجهم و أهدافهم البعيدة من واقع ما أقرأ عنهم وأسع عن مخططهم وأرى بنفسي من تصرفاتهم أنهم يتطلعون في مخططهم ضد المرأة إلى تحقيق التالى:

1) تهميش المرأة في المجتمع وبمعنى أوضح أن تعيش على هامش الحياة،
2) هضم حقوقها بمعنى أن تبقي صيلة حياتها مسلوبة الحقوق بما يتعلق بإرادتها وإنسانيتها.

[1]-سيمون ديبوفوار، كيف تفكر المرأة، تر ، سعد زغلول دار المركز العربي للنشر و التوزيع القاهرة، ص15.
[2]-خليل سليمة و مشقوق هنية، الأدب النسوي بين المركزية و التهميش، مجلة كلية اللآداب، جامعة محمد خطير بسكرة، الجزائر، 2011، ص246.

3- تحقير مشاعرها أو بصورة أخرى تحطيم مشاعرها كمخلوق سوي له ما لغيره من الحقوق والواجبات والمشاعر والطموحات.
4-الاستهانة بكرامتها إلى درجة الحكم عليها بأنها قاصرة وغير قادرة على أن ترفع صوتها أو تفاخر بإنسانيتها على الأقل.
5-تحطيم آمالها إلى مستوى أن تظل دائما رهينة واقعها وأن تبقي متقوقعة ومحاصرة دائما دون التطلع إلى المستقبل أو إلى الأمام أو تبصر طريقها حسب إرادتها.
6-وضع العراقيل الشائكة أمامها ومن حولها والسهر على حراسة هذه العراقيل وتطويرها إلى درجة الانغلاق والإغلاق.
7- نزع الثقة منها تماما والتشكيك بجميع تصرفاتها ومعاملتها في محيط هذه الدائرة.
«من المحتم أن نعتبر المجتمع مثل كمان للتآمر يبلغ الأخ الذي يملك الكثير من مبررات احترامه في الحياة الخاصة ويفرض مكانه ذكرا متوحشا ذا صوت يزمجر وقبضة قاسية والذي يرسم بالطبشور إرشادات على الأرض». [1] يبقى هذا الذكر إذن ذا مكانة وهيمنة عكس المرأة.
«إن ضعف واهتزاز شخصية المرأة نابع من قلة وعيها بذاتها المستقلة و المؤصلة باليقين الثابت لأن اختلال التحكم في المواقف هو السبب الرئيسي في الضنك الذي تتخبط فيه، إما تجعل من ذاتيتها المنطلق و الوسيلة والغاية على حساب الثوابت والأصول مما يؤدي بشخصيتها للانتفاخ والتضخم المرضى» [2]
. فتنفق حياتها من أجل ذلك الرجل المتسلط والمحتقر لها.
فنجد تعامل المجتمع الجزائري المعاصر مع المرأة انطلاقا من وجهات نظر متعددة أجمعت على تصويرها ضحية القهر الاجتماعي وظلم الرجال ثم إقصائها بالقتل على يد المتطرفين تظهر في عالم مليء بالعذاب تحاول أحيانا التمرد عليه، ويقف الرجل خلف قهر المرأة متخذا كل احتياطاته لحماية ممتلكاته دافعا المرأة إلى البقاء داخل المنزل ومحملا إياها مسؤولية الحفاظ على النسل ومهما يكن.
فالمرأة همشت من كل الأطراف ومن كل الجوانب وقللوا من شأنها.

[1]-بيار بورديو، الهيمنة الذكورية تر : د سليمان فعفراني، بيروت ط1، 2009، ص27.
[2]-ليلى محمد بلخير، قضايا المرأة في زمن العولمة، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع عين مليلة، 2006، ص41.

«عرفت المجتمعات البشرية على اختلاف ثقافتها وتجاربها وظروفها خلال العصور الماضية نمط العائلة الأبوية، ، حيث يحتل الأب أو رب العائلة الموقع المركزي في بناء العائلة ويحتكر السلطة والنفوذ والتصرف في حياة جميع الأفراد ومستقبلهم هذا الشكل ما يزال قائما وإذا كانت قد اعترته تغييرات عديدة سوء في بناء أو في وظيفة العائلة بسبب عوامل عديدة منها خاصة التوسع العمراني والتطور الصناعي و انتشار التعليم ونمو الوعي، ذلك أن تقييم العمل وتوزيع الأدوار على أساس الجنس الذي ظهر منذ استقرار المجتمعات البشرية الأولى بعد اكتشاف الزراعة وتدحين الحيوان ما يزال قائما لحد اليوم» [1].

إن مسألة الاعتراف بالنساء أو بالمرأة تنبني على ما يمكن تسميته بداعي القوة والسلطة، والهيمنة، أكثر مما يمكن أن نعتقد بأنه "**كراهية**" مبطنة

فقد كان الأب هو الذي يفرض السلطة والهيمنة على المرأة ولا يكتفي الأب بحرمان الأنثى من العاطفة والحب بل يتجاوز إلى استلاب ممتلكاتها فيمارس التسلط عليها وهذا ما يبينه هذا القول « بعد بضعة أشهر كسرت حصالتي أثناء غيابي عن الدار لتسلبني مدخراتي القليلة» [2]. المقصود بهذا القول الأسى الذي تتحمله الفتاة منذ الصغر فتحرم من مكانتها الإنسانية داخل الأسرة، إذ نلاحظ سلب الأب لمدخرات ابنته وذلك لعدم الاهتمام لتعبها.

تبقى المرأة تعاني التمييز داخل الأسرة مقارنة بالرجل، وتزال تعاني الحرمان والتهميش ويتضح ذلك في هذا المثال "**لا أشعر بالغيرة، بل أكتشف الحرمان والتهميش، يكرس هذا الحدث إدراكي لأشكال التمييز**"[3]

إن المرأة جزء فاعل ومكون أساس في المجتمع البشرى فهي الزوجة والأم والأخت للرجل وهي جزء من كيانه الاجتماعي والنفسي وليس فقط رقم ديموغرافي demographic ، مكمل بالنسبة له، وقد كرمها الله و رسوله في كثير من المواضع والدلائل الصريحة، وبالتالي

[1]-الأسرة في الوطن العربي، أفاق التحول من الأبوية إلىالشراكة، مجلة عالم الفكر، العدد 3، 2008، ص 281.
[2]-مليكة مقدم، رجالي تر، نهلة بيضون، دار الفارابي سيديا بيروت لبنان ط1، 2007، ص15.
[3]-المرجع السابق، ص 16.

فإن تعطيل دورها أو الحد منه يعد تعطيلا لجزء هام من المجتمع فضلا عن أنه عصيان لما أراد الله ورسوله لها، وقد عانت المرأة كثيرا في مجتمعنا الإسلامية، جراء التقاليد البالية التي لم يتم التخلص منها، بل ومما يزيد الأمر سوءا أن يتم إسباغ القدسية على هذه التقاليد من خلال مزجها سواء عن قصد أو جهل بالتفسيرات والتأويلات الدينية التي تنتقص من المرأة وتحط من قدرها وبالتالي ماساهم في أن تبقي مجتمعاتنا الإسلامية متخلفة بل وعاجزة حتى عن مسايره التقدم البشري في شتى مجالات التطور ومنها التكنولوجية والصحية والاجتماعية وغيرها، و هذه الأمور قد أنتجت ما يمكن تسميته ب"**الظلم الاجتماعي** الواقع على المرأة.

«لا تزال المرأة تتألم من كونها محرمة ومهمشة إذا تلاحقها معاناة تتذكرها وهذا ما يتبين في هذا المثال:"**في دار أهلي بدأت أشعر بالغربة بسبب العنف والظلم ونوبات الغضب**»[1].

ونفهم من هذا القول بالإضافة إلى غربة البطلة عند سفرها إلى باريس وتركها لأهلها إلا أنها تؤكد، معاناة الغربة والوحدة منذ طفولتها، **فالكاتبة** تحاول إظهار معاناة الفتاة بالرغم من امتلاكها للأسرة إلا أنها تعاني الغربة والوحدة من الطفولة.

[1]-المرجع السابق ص 98.

المبحث الثالث: تمرد المرأة الجزائرية.

للتمرد عدة معان ومدلولات في اللغة العربية، وبذلك عرفه لنا كل من اللغويين والفلاسفة كل حسب منظوره:

أ- التمرد لغويا:

يفيد مدلول التمرد في مختلف المعاجم العربية معنى العصيان بصفة عامة، فالتمرد في لسان العرب لابن منظور من:«مرد على الأمر، يمرد، مرودا، فهو مارد ومريد وتمرد: أقبل وعتا والمارد من الرجال: العاتي الشديد، والمرود على الشيء: المرون عليه، ومرد على الكلام أي مرن عليه ليعبأ به، قال الله تعالي: «**ومن أهل المدينة مردوا على النفاق**» ومرنوا عليه، كقولك تمردوا». [1]

كما نجد أن التمرد في المعجم المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: يدل معنى التمرد في هذا القاموس من تمرد«مرد، كنصر وكرم، ومورادة، فهو مارد ومريد ومتمرد: أقدم وعتا، أو هو أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ماعليه ذلك الصنف، من مردة، ومرادء، ومرده: قطعة ومزق عرضه، من مرن واستمر والثدي مرسه، وخبز ماثه حتى يلين، و الأمراد: الشاب طر شاربة ولم تنبت لحيته بناء مرد، مطول، والمارد المرتفع العاتي قريرة مشرقة من أطراف خياشيم الجبل المعروف بالعارض، وحصن بدوامة الجندل» [2].

وفي معجم متن اللغة لأحمد رضا فإنه يردد نفس المعنى:«مرد: تطاول في المعاصي، وتمرد، عصى وعتا، ويدل كذلك:مرد مرد ومرودا ومراده ومووده، ومرادة ومووده، عتا وعلى وتطاول. بالكبر والمعاصي فهو مارد، مردة ومراد،ج، مورادء وأصل المعني التمرن أي الاعتياد أو أصله الإنجراد ومنه الأمرد المنجود من الخير، وهو شيطان مريد» على المبالغة. [3]

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، مج 3، 1955 ص400.
[2]-امجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي قاموس المحيط، دار الحديث للطبع و النشر و التوزيع القاهرة، 1522، 1521.
[3]-أحمد رضا، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط5، مج5، 1990 ص 273.

2- التمرد اصطلاحا:

التمرد أو العصيان هو رفض تنفيذ الأوامر ويمكن تعريفه بأنه« مجموعة من أنماط السلوك الاجتماعي الموجه إلى أشكال السلطة المختلفة ومظاهر النفوذ، للخروج عليها وإعادة بنيتها وسمات مظاهرها بالشكل الذي يخدم الفاعلين، ويحقق أهدافهم ويعيد اليهم قدرا من السلطة والنفوذ هو يختلف عن الثورة في شرعيته الاجتماعية ومقدار تقبل الناس له، وانخراطهم فيه، وتبدأ كل ثورة اجتماعية بعملية التمرد تقوم به جماعة من الأفراد ثم تستقطب مجموعات أخرى من الناس حتى تعلم أغلب الفاعلين. اجتماعيين وتنظم تمردهم دعي على مر التاريخ العديد من الجماعات التى تعارض حكوماتها بالمتمردين فقد حصلت أكثر من 15 ثورة فلاحية في جنوب غرب فرنسا بين أعوام 1590و1615» [1]

أن تكون رجلا ضد التيار هو أمر عادي نوعا ما، وأن تكون رجلا ضد السائد في مجتمع تقليدي هو أمر قد يكون مميزا، لكن تكوني امرأة ضد التيار فهو حتما أمر مختلف تماما!

فكيف إذن مجموعة من النساء اللاتي وقفن ضد التيار في مجتمع منغلق! أو في مجتمع غير واعي!فتجاوزوا بوقوفهن هذا السائد و المحظور والممنوع!

«ليس تمرد المرأة هو أن تمشي عارية كما يحاول البعض أن يظهرها، أن تخلع ثيابها وتمشي في الشارع! ليس هذا أبدا، تمرد المرأة يكمن في تحطيم فكرة بالية حان وقت استئصالها، وفي تجاوز عادة قميئة آمن بها الجميع حتى لو اضطر الأمر للوقف بوجه مجتمع كامل في سبيلها.

التمرد ليس بالملابس كما يصوره بعض الحمقى، التمرد يكون في أمر ترفعها فوق العادة وفوق العمر وفوق الجنس واللون حتى». [2]

التمرد هو رفض قاطع لتعد لا يطاق وإلى يقين مبهم بوجود حق صالح، و صورة أصح، فالتمرد يسعى بحركته ورد فعله الرافض لمس كيانه إنه يناضل من أجل سلامه جزء من

[1]-عبد الله الغدامي، المرأة و اللغة، المركز الثقافي، دار البيضاء، ط2 2006.
[2]-نزيه أبو نظال، تملرد الأنثى في رواية المرأة العربية و ببلوغرافيا الرواية النسوية العربية، بيروت، 2005، ص30.

كينونته، ولا يسعي أولا إلى التوسع بل إلى تأكيد الذات. ولكي تثبت موضوعة التمرد في الكتابات النسائية يكفي أن نستعرض بعض عناوين للروايات النسائية العربية لتؤكد وجوده فيها مثل:**لست دمية المتمردة رجالى الممنوعة لمليكة مقدم، الدمى الحبة لهند سلامة.**

فالمرأة كانت تحت سيطرة الرجل، فلم يكن لها دور في المجتمع، فكانت خاضعة للآخر الذي فرض عليها نفوذه وغطرسته، لتكون دائما تحت رحمته وهذا مار فضته المرأة، وسعت إلى التنديد بها، وفك هذا الحصار الذي كان يخنقها طوال هذه السنين، فبعد مرور كل هذه السنين وتباعدت العوالم البشرية كان للمرأة حقها ورغبتها في تحرر فعملت على الانفلات من هذه القيود، «ومن ثم تقاربت تلك العوالم بفعل الإنفتاحات مابعد العولمة التي كان من توابعها الثورة المعلوماتية الرقمية والتكنولوجية لتغدو الأبوية اليوم بمثل حالها بالأمس وبذات الهيبة والهيمنة والسطوة والاعتداء مع بعض بوادر تضعضع مرتكزات صرحها العتيد بفعل ماأنتجته هي بنفسها من وضعيات الانفتاح و الانفلات والتقارب سائرة باتجاه تدمير نفسها بنفسها» فبفضل التقدم التكنولوجي أصبح للريادة الأبوية منافس وذلك من خلال ماأنتجته المرأة من مكانه لنفسها». [1] فقد أصبح لها وجود في هذا المجتمع الذكوري الذي تبني السلطة لمدة طويلة، فهذا مادفع بالمرأة إلى تكسير روتين الحياة وتحرر من مأساة حياتها خاصة بعد ما أن أصبح العالم قرية صغيرة « بل غدا في العالم الجديد العولمي أو ما بعد الاستعماري ذات تأثير لا ينكر وحضور لايداري وليكون وصف المرأة بالجنس الآخر أحد المقوضات التي أرادت النساء المطالبات بالتحرر تفتيتها تخلصا من جور الأبوية التي أثارت الإبقاء على حالتي الجلبة بصالحها فارضة ذلك كأخذ الثوابت التي لا تقبل الزحزحة أو التغبير» [2]

فالمرأة أرادت تفكيك هذا المجتمع الأبوي وتغيره وتخلص من سلطته التي لا طالما كبلت المرأة تحت نفوذها الإلزامية،« إلا أن قضية المرأة شكلت مركزية البحث في السنوات الأخيرة فالنسوة قد وضعن نصب أعيونهن في التحرر من كل ماهو عائق في طريقهن وهد فهن في هذه

[1]-نادية هناوي، الجسد له بين المحو و الخط (الذكورية، الأنثوية)، دار لبنان بيروت، ط1، لبنان كندا، 2016، ص8.
[2]-أحمد عمرو، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية، ص9.

الحياة، فقد كانت الحرب النسوية ضد هذه الأغلال شغلت عقول المفكرين والعلماء، وبذلك ظهر بما يسمى بالتمرد النسوي،« ظهرت الحركة النسوية بمفهومها التحرر من كل القيم والمفاهيم... كأنموذج صارخ لعملية الغزو الفكري، حيث انصب اهتمام النسوية حول قضايا المساواة الاجتماعية والقانونية. في التعليم والتوظيف وقوانين الزواج »[1] وهذا على أن المرأة قد بدأت في الوعي حول مايدور في مجتمعها من قضايا خاصة بها، حيث كانت مجرد لعبة بين يدي الرجل، أما اليوم فقد استطاعت التعبير عن اختلاجاتها الشعورية، لترفع بذلك من شأنها، فتكسب استرجاعها لحقوقها، لتمحو بذلك الفكر السائد على أن المرأة.«كانت دائما مصدر الخطيئة وأصلها، وهذا ماكانت عليه صورة المرأة في التراث اليهودي المسيحي».[2]، ومن هنا قد اعتبرت المرأة مصدرا لضعف المجتمع على هيئة شيطان جميل محبب من طرف كل من يراه، فكان للمرأة عبر العصور مكانة في هذا المجتمع الاستعبادي،« فانطلقت الفلسفة العبودية التي جعلت من المرأة تحت اجتياح الرجل، فالكثير من الباحثين يحاولون تجاهل الحضارات القديمة في بحوثهم العلمية من أجل إثبات إله الذكر له أحد هو أصل الوجود ليس الأنثى فالأم القديمة أو الأمهات الإلهات، ويثبت التاريخ المصري القديم أن تعدد الإلهات الإناث كانت لهن مكانه عالية تعلو أحيانا على الآلهة الذكور مثال على ذلك إلهة العدل معات، الهة الطب والصحة والموت والسخيت، إلهة إيزيس إلهة الحكمة والمعرفة»[3]،ومن هنا فإن الأنثى أساس الحياة،« إذا اعتلت المراتب العليا عبر العصور وتفانت في عملها، وخير دليل على ذلك ما صرحت به **نوال العداوي** فيإحدى مثل:نفرتيتي وسخمت». [4]

فإن عدنا للتاريخ وتمعنا النظرة فيه نجد المرأة لها مكانتها التي حرست على اكتسابها من خلال عملها الدؤوب فقد كسبت العالم بفضل حنيتها وعدلها، كما نجد في الأديان السماوية أن المرأة خلقت من ضلع الرجل الأعوج وهذا مايدفع بالرجل إلى التعالي عليها وعدم تقديره

[1]-أحمد عمرو، النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية، ص1.
[2]-المصدر نفسه، ص 139.
[3]-نوال سعداوي، المرأة و الدين و الأخلاق، دار الفكر دمشق، 2000، ص18.
[4]-نوال سعداوي، الحب في زمن النفط، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب القاهرة، ط1، 1993، ص9.

لأعمالها. رغم ذلك فالمرأة قد تمكنت من تحطي كل هذه العقبات وهذه التصورات والاعتقادات حول شخصيتها، هكذا تمكنت المرأة من الانفلات من قيود هذه الحياة الماكرة والخداعة، واستطاعت استرجاع حريتها، وهكذا يكون للمرأة شأن عظيم في الساحة الأدبية، وهذا إن دل على شيء فيدل على شجاعتها وإقدامها، وتمكنها من رفض الدور للأنثوي و الأمومي، لتترك وراءها ثورة أدبية أكثر أهمية من أي شيء آخر. فالدين الإسلامي قد أعطى للمرأة حقوقها، كما جاء في هذا النص القرآني من سورة النساء: **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)** [1]. **سورة[النساء]** 34نجد أن الكثير من المهتمين بكتابة المرأة أنهم قسموا كتاباتها إلى عدة تسميات تمثلت في:

أ- الكتابة النسوية: تمرد المرأة بالكتابة.

لقد عمدت المرأة إلى الكتابة من أجل التنفيس عن نفسها تعبير عن المأساة التي عاشتها، لتأخذ من كل منهل تجربة تجسدها عبر كتاباتها و أدبها، فالمرأة كتبت عن المسكوت عنه والمحظور عن الكلام، وبذلك استطاعت إثبات نفسها، وفكرها وتمكنت من التغلب و التخلص من هذه التسمية التي أتسم بها أدبها، فلم يعد بإمكان النقاد التمييز بين الأدب الذكوري أو النسوي من خلال اللغة إلا بالنظر إلى اسم المؤلف فقد أحسنت استغلال اللغة وتوظيفها توظيفا يخدم أدبها وكينونتها، فالمرأة عبرت عن تجربتها الخاصة التي عانت منها من قهر بقلمها المأساوي، فعبرت عن جرح مشاعرها وتحطيم نفسيتها وذلك بالعودة إلى الماضي الذي عاشته، فلا يمكن لأي كاتب أن يكتب في السيرة الذاتية ولا يعود إلى ذكريات الماضي،

« لايمكن لكاتب السيرة الذاتية أن يكتب تجربة ذاتية دون الحاجة لاسترجاع الماضي بفعل ذاكرته، التي هي عبارة عن مخزن كبير للمعلومات التي تتعلق بشخصية وبحياة المحيطين به، ولعل أكثر الذكريات التصاقا بالنفس هي ما تتعلق بذكريات الطفولة، ومرحلة الصبا والشباب وهذه المرحلة استرجعتها ذاكرة مليكة مقدم لمالها من أثر كبير في نفسيتها، فصحراء

[1]-سورة النساء: الآية 34.

الجزائر عاشت فيها طفولتها ومراهقتها ثم وهران التي عاشت فيها شبابها، ومن ثم هاجرت إلى فرنسا لتكمل دراستها وتعمل هناك، إذن للذاكرة أهمية كبيرة في بناء النص السير الذاتية».[1]

فهذه الكاتبة المهاجرة التي أطلعت على الحياة الغربية اكتشفت النقائص الموجودة داخل مجتمعها الأبوي الذي يفرض سيطرته علا كل مايتعلق بالمرأة، لكن هذه الكاتبة ضربت بعرض الحائط كل الأعراف فتحدثت عن الثالوث الممنوع، كما أن ذاكرة المرأة خاصة ذكريات الطفولة ملجأ للإبداع الفني خاصة في الرواية، فهي تحدثت بلغة الذات الأنثوية وبضمير النسوي لتكشف الجانب المظلم الذي عانت منه المرأة منذ السنين الطويلة،«لقد اختزنت النسائية العربية مكابدات واحتملت معاناة كبيرة على مر الأزمان واختلاف الأماكن فما بين رواية الجسد وهيمنة الذكور واستبداد اللغة غابة الذات النسائية وتشتت العنصر النسائي ولم يعد بإمكانه إثبات حضوره الفعلي بشكل ذاتي إلا بالتمرد الذي به تستكشف المرأة وعيها وتعبر عن مكنونات الأنا داخلها وتصعد فاعلية شعريتها باتجاه من حولها وتوجه نقمتها لمن هو الحكم والخصم معا» [2]

لقد فرض على المرأة حصارا فكان سبيلها الوحيد للتحرر منه هو **التمرد** على كل ماهو مسكوت عنه ومفروض عليها بالقوة.

فالكتابة دائما بحاجة إلى الثنائية المتضادة، فلا يمكن الحديث عن المرأة دون الرجل والعكس صحيح، فكينونة المرأة تعتمد على وجود الرجل، فيستوجب إذن على الكتابة أن تلامسه ضدية النفس، وهي« مرحلة الاعتراض والاحتجاج على هذه التقاليد والقيم، تأتي هذه النوعية من الكتابة، المصطلح بمعنى الإحالة على الأخر بوصفة ذات خلاقة، تتحدد هويتها الأدبية بتوقيع هويتها الجنسية، وليس هويتها الجنوسية، لأن هذا المصطلح يقدم المرأة والإطار– المحيط بها– المادي والبشري والعرفي والاعتباري...– في حالة حركة وجدل بمعني أن الأدب

[1]-سعاد أرفيس، ملامح التمرد في الرواية النسائية الجزائرية، مجلة الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية، جامعة المسيلة، العدد 15.

[2]-نادية هناوي، الجسدنة بين المحو و الخط (الذكورية، الأنثوية)، ص6.

يتحدد من هويتها الجنسية وليس من هويتها الجنوسية أي أنه تتحدد هوية أدب المرأة من جنسها وليس من أفكارها وسلوكياتها وسماتها، التي وضعها لها المجتمع بالقوة، فأدبية النص تتحدد من الهوية الفكرية واللغوية وليس من هويتها الجنسية أي أنه لا يتحدد بالنظر إلى مؤلف هذا الأدب بل يجب أن يكون معيار الجودة فيه بالنظر إلى اللغة و الأسلوب و الفكر والوعي الإنساني الذي يجعل من أدبية الأدب خادمة للواقع المعاش [1]

4- الأنثوي:

هي:«مرحلة اكتشاف الذات، هنا تبدأ المرأة بتحديد هوية أدبياتها وذلك لتبيان أثر سلطة اللذة، في القارئ، وذلك ينتج إثر تفاعله مع لغة النص، التي تتحدد بكينونة الأدبية الأنثوية الإغرائية بمعني أن هذا النمط من الأدبية يتحدد من خلال أنوثة المرأة، وتعد هذه السلطة بداية انفلات الذات المبدعة بوصفها الكتابة النسائية، وبالنظر إلى كل هذا فإن لاتزال في الطور و التشكل»[2].

وفي رأي أن تسمية هذا الأدب النسوي وحصره في هذه اللفظة، يعد إجحافا في حق المرأة وتغيب لشخصيتها وذاتها، كما أنه تقصير وتقليل من شأن هذا الأدب وهذا الجنس البشري رغم كل هذا فالمرأة قاومت وحاربت هذا الفكر المتحجر، وأرادت التحرر من هذه التسمية وهذه السمة الملتصقة بأدبها.«لأنها ببساطة تريد أن تخرج من حصار الفئة الموصوفة بجنسها إلى فضاء النصف المشارك، المجرد من جنسه، إلا أنها في الوقت نفسه تدرك في قراره وعيها أن ذلك لن يتحقق إلا لفضيا، وأنها محكومة بحتمية شرط جنسها، وتزداد مقاومة لتصنيف نتاجها الأدبي والذهني بأنه نسوي»، ونعني بهذا أن المرأة تمسكت موقفها متحدية الآخر، لتثبت جدارتها، رغم معرفتها باستحالة تحقيق ذلك على أرض الواقع، لأن جنسها يعتبر عقبة في طريقها ليس كموضوع أدبي فقط، بل لأن الآخر لاتخلو نظرته من وظيفتها الجنسية وذلك للدلالة على الضعف والرقة والاستسلام والسلبية وهذا مايجعل نتاجها الذهني متصفا زيادة عن اللزوم بالنسوي، لأن المرأة في كتاباتها تحكي وتصف غالبا حياتها وتجربتها الخالصة، التي عاشتها في ظل محيطها ومجتمعها،

[1]-علي دغمان، بين التوقع الجنسي و البحث عن هوية الجنوسية، الكتابة النسوية، ص3.
[2]- المرجع نفسه، ص3

تلك الخصوصية المليئة بالمعاناة والآلام، فأدبها أو بالأحرى أدبيتها فياضة بالمشاعر، فمن المعروف والمتداول أن المرأة أو الأنثى ولادة المشاعر فهي منبع الإحساس المرهف لذلك قد وصف أدبها بالأدب النسوي[1]

كما نجدها متحدثة عن نفسها بطريقتها، وعن الرجل بنظرتها أو أسلوبها الخاص كاشفة عن خباياه وأسراره وعيوبه، متخلصة عن عبء الحياة الذي قبض أنفاسها، محاولة رؤية الجمال بعينيها الثاقبة، بروحها المزوجة بأنوار الأنوثة، بجواهر الحب الصافي المنبعث من دقات نبضها، متحررة بذلك من ثقاب الرجل وسهامه المسمومة ومن صومعته المرصعة بالذهب، من تاج سلطانه المجبر فتغدو طائرة بلا أجنحة، مطلقة لعنان سيالتها للتكلم عن المسكوت من الأمور، منبثق من هيجان هواجسها.

لكن من كل هذا هل ستعتبر الكتابة النسوية المدونة بقلم المرأة مجرد أحاسيس ومشاعر، وهل كل النساء يكتبن انطلاقا من أحاسيسهن ، أم أن هناك نساء أدبيات قد تجاوزن المفارقة بينهن وبين الرجل، فمن المؤكد أن هناك نساء استطعن فك أسرار اللغة وتوظيفها فيما يخدم الأدب، هنا نلمس استر جال المرأة، لتلعب دورا معاكسا، فعززت من وجود اللغة،فأخذت فيها دور البطولة، فيتضح لنا أن كتابة المرأة ليست مجرد عمل فردي،لأنه أصبح صوت تؤلفه الجماعة، فمن خلال هذا تظهر المرأة كجنس بشري، ويظهر النص كجنس أدبي ولغوي، فالمرأة حاولت الكتابة في شؤون المجتمع، كونها جزء مهم منه، فكتب عن الظروف الصعبة التي عاشتها، لأن الحياة قد قاست عليها، وجعلتها تخوض عدة معارك معها، لقد تيقنت المرأة بأن التحرر لن يتحقق إلا بالتصال لتحرير المجتمع برجاله ونسائه، ومن هذه الثقافة التي رسخت في أذهانهم،« لكن لم تتمكن من إرجاع المشكلات إلى منابعها الحقيقية، من فقر وجهل وتخلف موروث و متجذر في نفسية الرجل» [2]

[1]-نفس المرجع السابق، ص 4.
[2]-محمد قاسم صفوري، شعرية السرد النسوي العربي الحديث، أطروحة لنيل دكتوراه، دار في الفلسفة، 2000، ص89،86.

هذا ما أدى بأدبها للمقاومة في سبيل تحقيق مسعاها وهدفها في الحياة، فالمرأة عملت جاهدة لبلوغ التحرير واسترجاع حريتها وحقوقها المسلوبة منها بالقوة والغصب، ومن أجل كل هذا قد سمي بالأدب المهمش.

« فالمرأة لها الحرية في إبداء رأيها، ومن حقها التعبير عما في داخلها من أحاسيس ومشاعر، فهي أيضا من لحم ى ودم تشعر وتحس». [1]

مثل: امرأة خارج حصار لرجاء أبو غزالة، لعنت الجسد نصوف عبد الله، رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي المتمردة لمليكة مقدم،«وكل هذه الروايات تعبر عن عذبات المرأة الكثيرة، تغير معاناتها وتنوعها لكن العنوان واحد تقدمه الروايات من ظلم، نبذ، مأساة، قسوة، وقيود تشتت، عزلة، قهر كلها عبارات دالة عن عمق هذه المعاناة وتحذرها في نفسية المرأة العربية» [2]. وبذلك راحت المرأة تستغل قلمها لتثبيت ذاتها،تأكيدا على نفسها بفكر نسائي فتي، وهكذا يشد لقلم أزر المرأة في الرواية ليقف بجانبها ويعطيها من ضعفها قوة ومن هزيمتها انتصارا، ورغم كل هذا فإن الرجل ضل يحاول تثنيتها عن ماسعها الإبداع وردعها عن كل محاولاتها لإبراز شخصيتها الأنثوية، إذ أنه في بعض الأحيان تمكن من ذلك،«فالرجل قد نجح في اقناعها بضعفها وعدم قدرتها على الإبداع، فعدت أداة قابلة للتوظيف والترميز والشكل وفق النظام السائد.... مما جعل المرأة كائنا هامشيا تابعا.» [3] ، من خلال هذا يتضح لنا أن المرأة هي الجزء المهمش في هذه الحياة وفي هذا المجتمع فثارة على المحرمات والممنوعات المفروضة على المرأة الجزائرية، كما أرادت من خلال هذه الكتابات الكشف عن كل مستور، متمردة على الأعراف و التقاليد التي قمعت وقيدت حريتها. في ظل التمرد على الأوضاع الاجتماعية كان للمرأة دور كبير في محاولة تعبير هذه الأوضاع، فقد حاولت كثيرا التحرر، فأرادت الحرية شأنها شأن المجتمع الإنساني ككل.

[1]-المرجع السابق، ص90.
[2]-سعاد آرفيس، ملامح التمرد في الرواية النسائية الجزائرية، مجلة في الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية.
[3]-مليكة مقدم، رواية المتمردة، المركز الثقافي العربي، شبكة صخب الأنثى الأدبية، 2004، ص 127

إن المرأة تمردت على الحياة ومافيها، من خلال القلم ومن خلال كتاباتها عبرت عن ماذاقته من مرارة الدنيا وظلومات وقهر الناس لها الذي وضعها تحت واقع الالتزام بالقوانين المجحفة في حقها.

لكن كانت المرأة شجاعة، على قدر كاف من الثقة بالنفس، فكتبت عن المستور والمسكوت عنه، دون خوف أو تردد، فهي قد تمكنت من رفع صوت الحق في وجه الطغاة. فالمرأة تحدثت عن معاناتها من مكابد القهر، فترفع الستار أمام المحظور من الأمور، والقمع الممارس ضدها، كما كان للمجتمع دور هام في جعل المرأة تثور و تتمرد على الأوضاع المعاشة، لأنه قد عمل على سحق آدميتها وزهق روحها وقد تمكنت بفضل عملها وثقافتها أن تواجه الحياة والتصدي للأغلال التي وضعتها لها الثقافة الإنسانية، فعمدت إلى الكتابة لتعبر عن المأساة التي عاشتها، بقلم الحزن والمعاناة، فالمرأة قد كتبت عما يعاب نطقه ولايسمح بذكره على مسامع الآخرين، فقد منع حتى على الرجل الحديث عنه،« إلا أن هؤلاء النساء تمكن من تجاوز هذه الحدود الموضوعة لها، وتناولن هذه الطابوهات بالكتابة، فأعلن تمردهن على كل ماهو مخبئ، وراء ستار الأخلاق تارة والدين تارة أخرى، أو تحت سلطة الرجل الذي أخذ الدعم من كل فئات المجتمع، فالمرأة في نهاية المطاف سر الوجود ومنبع الثقة في الأسرة» [1] لقد تعددت الأسباب التي جعلت المرأة تكسر حاجز الصمت لتطالب بالنهوض والتحرر فكانت البدايات الأولى من شعر النساء حيث أبدعت في الرثاء ثم تطور هذا الأدب إلى فن الرواية كل هذا ساعدها في الفصح عن ذاتها وعن حقيقتها ومن بين الذين أبدعوا في هذا الأب " **حنانة بن نونة، غادة السمان ليلى عسران**" وغيرهن وبعدها جاءت أحلام مستغانمي، هيفاء بيطار....إلى غير ذلك كل هذه الأعمال أثبتت من خلالها المرأة اختراقها لعالم المجهول وخروجها إلى المألوف وقدرتها على فعل الكتابة فأكدت أنها ليست جسدا بل هي عقل مبدع والدليل على هذا معرفة أنواع وحقول الكتابة، ومن هنا ظهر بما يسمى "**بالأدب**

[1]-بوشوشة بن جمعة ، الرواية النسائية المغاربية ، منشورات سعيداني ، تونس ، ص 25

النسوي، الأدب النسائي" أو **أدب المرأة** كل هذه التسميات أثارت نوع من الجدل بين النقاد والأدباء كما يقول الناقد " **بوشوشة بن جمعة**" **<<**صيغ ترادفية أثارت الكثير من الجدل عند ظهورها لما اكتنف مضمونها من تعميم وغموض، ولما أثارته من إشكاليات تتصل بمدى مشروعيتها وإمكان تصنيف الأدب على أساس الاختلاف الجنسي اعتبارا لكلية الفعل الإبداعي الخلاق».[1]

تري رشيدة بن مسعود:« قدرة المرأة في التحكم بزمام قضيتها بحيث خرجت منادية بحقها في التعليم والمساواة مع الرجل في الحقوق الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية، بحيث وبواسطة تعليمها ودخولها ميادين العمل واطلاعها على الثقافات الغربية أتاح لها الفرصة في التمرد وأن تحدت تطور على مجال الأدب بصفة عامة و الأدب النسائي بصفة خاصة و استطاعت الكاتبات و الباحثات كسر حواجز فكرية متعددة، وناقشن قضايا لم يكن من الممكن التعرض لها، واتسمت بفضل ذلك الجرأة في التعبير ما أكسبها صفة الخصوصية في الكتابة واستخدمت بواسطتها إستراتيجية خاصة تساعدها على فرض وجودها في مجتمع ظل يهمشها ويحط من قيمتها، كما ساعدها أسلوبها المتميز في الدخول إلى الساحة السياسية وتحقيق المساواة بين الجنسين في الحقوق الاجتماعية و السياسية »[2]

كان إبداع المرأة بهدف المقاومة ومن أجل رفض كل أنواع الاستبداد والإقصاء، مما أظهر كل أنواع النفاق الاجتماعي، وكشف النقاب عن الازدواجية ونزع القناع عن كل الزيف والتصنع الذي يتقمصه المثقف لأنه يؤمن بقوة أن المرأة المبدعة غير قادرة على إثبات موهبتها وفي هذا يقول "**حب الله عدنان**" **«** وحتى وإن طالة بعض الإعجاب بتقدمها الفني فإن هذا الإعجاب سرعان مايتبخر إن كان على حساب واجباتها الاجتماعية التي لاتنتهي، وقيامها

[1]-نفسه، ص26.
[2]-رشيدة بن مسعود، جماليات السريالنسائي، ط1، دار البيضاء، 2006،ص14.

بهذه الواجبات ترضى رغبته العارمة في التملك، أي التخاذل أو نقمان من طرفها، يعرضها لضعوظ اجتماعية ونفسية قاصمة لفكرها وإبداعها». [1]

فالمرأة كسرت جدار الصمت بكل تأكيد وأثبتت وجودها و فاعليتها كطاقة مغيبة ظهرت لتقف في وجه الهيمنة الذكورية، بل جاءت لتحريرالذكورية من العوائق التي كتلتها.

للمرأة معركة يومية للتعبير عن الذات للخروج من جلبات الرجل الذي يحيطها ويضيق عنها "حريتها"، فناضلت المرأة لعدة أشواط من أجل إفتكاك ماتيسر منها في مجتمع ذكوري يؤمن بأن الإبداع والفكر فكر على الرجال وأن النساء ناقصات **عقل ودين**.

«فاحتكر الفكر والعقل والغة أيضا، لمننا في ظل ذلك نجذ أن هناك من التجارب الكتابية النسزية من خرجت عن سيطرة قيد الرجل وكتبت بلغة المرأة وكسرت "**المحرمات**" المفروضة عليها.

فكان صوتها حادا يكسر جدار الصمت ويلهب المشاعر ويدق أبواب العقول الموصدة ليتغلغل في كيانات المتقبل فيترك الأثر الكبير الذي لايمحى ولا يمر مرور الكرام، فنجد لغة المرأة سواء منها اللغة المكتوبة أو المرئية أو المسموعة لغة ذات خصوصيات تتجاوز في بعض الأحيان ما سطر له.

إن الكتابة عند المرأة إنما هي عبارة عن تفجير للمكبوت والمخفي الذي تعانيه المرأة الكاتبة عبر مسيرة حياتها الثقافية إضافية إلى الصعوبات والعراقيل الكبيرة والتأثيرات الاجتماعية و الأدبية والنفسية»[2]

[1]-حب الله عدنان، التحليل النفسي للرجولة و الأنوثة من فرويد إلى لاكال، بيروت، دار الفرابي، 2004، ص220.

[2] -https://genderation.yyz/wiki.29-08-2019 :15 h

الفصل الثاني

تجليات المقاومة و التمرد في رواية مريم

المبحث الأول: تحليل غلاف رواية شجرة مريم

المبحث الثاني:العنف الممارس على بطلة رواية شجرة مريم زمن العشرية السوداء وبعدها

المبحث الثالث: تمرد و مقاومة البطلة على العنف الممارس ضدها

المبحث الأول:تحليل غلاف رواية شجرة مريم.

1- تفكيك العنوان:

1- 1- الشجرة لغة:

اسم شجرة: جمع أشجار.

- الشجر: نبات يقوم على ساق صلبة وقد يطلق على كل نبات غير قائم.

واحدته: أي شجرة.

يقال شخص من شجرة طيبة أي أصله كريم.

- شجرة النسب: بيان يفصل على صورة شجرة.

تبدأ من الجد الأعلى ثم من يتفرع عنه.

- شجرة ظل: الهدف منها التظليل.

- شجرة الميلاد: «شجرة الصنوبر تقام في البيوت المسيحية في أواخر شهر كانون الأول "**ديسمبر**" إحياء لذكرى السيد المسيح» [1].

1- 2- مريم لغة:

مريم هو اسم المفعول من رام، وهو اسم علم مؤنث ومريم اسم سامي، وقد ورد في العبرية بلفظ ميريام، بمعنى السيدة، وبحر الآلام والأحزان.

اسم مفرد مؤنث

مريم هو الاسم الآرامي لمريم بنت عمران عليها السلام التي هي من نسل هارون أخو موسى وأم المسيح ، مريم هو اسم أصله أعجمي عبري، ومعناه في لغتهم العابدة الخادمة للرب.

[1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي

«يعود اسم مريم إلى أصول أعجمية عبرية كما أنه اسم السيدة العذراء مريم بنت عمران ويطلق على المواليد من الإناث دون ذكور ويحمل عدد من المعاني المميزة منها**الإرتقاء**» [1] كما يعد مريم أحد أنواع نباتات الزينة، فهو نبات يمتاز برائحته الزكية.

كما أن هناك شجرة اسمها مريم، ويطلق عليها في اليونان:**لينا قوطس أو قوطوليون.**

انفرد اسم مريم"بسورة مريم" وهي السورة الوحيدة في القرآن التي تسمى باسم امرأة، وهي السورة التاسعة عشر في القرآن وهي إحدى السور المكية، ماعدا الآيات **58 و 71** فهي مدنية عدد آياتها **98 آية**، وتقع في الجزء السادس عشر، ونزلت بعد سورة فاطر وورد اسم مريم في القرآن الكريم **34 مرة** .

أول من تسمت به هي مريم ابنة عمران عليها السلام-

وسمتها أمها بمريم لأنها نذرتها لخدمة بيت المقدس.

قال تعالى: «إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم **(35)**. فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**(36)** فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ». **آل عمران 37،** [2] . كما أنه يحمل معاني طيبة ومستحبة، منها الارتفاع والرقي.

1- 3 الدلالة المعنوية لشجرة مريم:

إن شجرة مريم هي شجيرة صغيرة يصل طولها إلى أربعة أمتار وتعرف أيضا باسم **عشية كفا مريم، شجرة إبراهيم....** نموها سريع و تفرعاتها كثيرة، ثمارها صغيرة سوداء اللون وطعمها مر تستخدم ثمارها وبذورها كعلاج لعدة أمراض معروفة لدى النساء بفوائدها العلاجية العديدة، كما عرفتها سامية بن دريس:

[1]-المرجع نفسه.

[2]-سورة آل عمران:35-36-37

«شجرة مريم هي شجرة مباركة تجلب في مواسم الحج والعمرة من البقاع المقدسة، ومن بركاتها أنها تساعد على إنجاب الذرية، واسمها مأخوذ- على مايبدو- من السيدة مريم العذراء التي أنجبت بمعجزة ربانية على طريقة كن فيكون، ولهذا يقبلن عليها طلبا لبركاتها.» [1].

- فوائد شجرة مريم:

من أهم فوائد شجرة مريم نجد:

*تعمل على تنظيم الدورة الشهرية وعلى تنظيف عنق الرحم، وعلاج الاضطرابات المزعجة التي تحدث قبل الحيض.

*تستخدم كعلاج للتشنجات والتهيج والأرق والشعور بفقدان السيطرة والتوتر العصبي.

*تستخدم كعلاج للعقم عند النساء وتمنع الإجهاض لدى الحوامل. [2]

1- 4- قراءة الرواية "شجرة مريم":

عنوان الرواية شجرة مريم عبارة عن جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر فهذه الجملة تخبرنا عن شجرة مريم.

عنوان شجرة مريم لسامية بن دريس هو مدخل أساسي لعالم هذه الرواية، حيث يقودنا إلى فك الكثير من طلاسمه و ألغازه لكنه أحيانا قد يلعب دورا تمويهيا، إذ يجعل القارئ في حيرة من أمره، يربكه ويخلق له تشويشا، وقد يقوده إلى متاهة حقيقية لا مفر منها سوى النص ذاته .

إنه البداية الكتابية التي تظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفز على القراءة، وكذلك هو من العناصر المجاورة والمحيطة بالنص الرئيسي إلى جانب الحواشي والهوامش، وهو بدوره يطرح كثيرا من الأسئلة ويعتبر عتبة مهمة لايمكن تجاوزها أو عدم الوقوف مطولا عندها، فهو واجهة النص وهويته.

[1]-سامية بن دريس شجرة مريم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1،2016، ص13.
[2]-عبير أبو عياش، فوائد عشبة شجرة مريم، 2018.

لا يختلف اثنان على الأهمية البالغة للعنوان في تلقي النصوص، فعنوان **شجرة مريم** يعد من أهم العتبات النصية التي يلج إليها القارئ إلى داخل الرواية واستكناه عواملها ومغاليق أسرارها.

«يعد العنوان لحظة الاتصال الأولى بالرواية وموطئ عين وانتباه للقارئ وهو مفتاح أساسي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة »[1].

فالعنوان بوصفه العتبة الأولى للقراءة يجب أن يكون متضامنا مع المادة السردية، لا مفسرا لها، فلا تتصور كتابا بدون عنوان.

1- 5- قراءة غلاف رواية شجرة مريم:

يعد غلاف هذه الرواية عتبة للولوج إلى أعماق النص قصد اسكناه مضمونة، وهو جزء من نسيج هذه الرواية، ولوحة ضمن معمار النص يحيط الغلاف بالنص ويغلفه ويحميه، ويترجم رموزه الدلالية.

* ظهر في هذا الغلاف.

- **اسم المؤلفة**: سامية بن دريس.
- **جنس الإبداع:** رواية.
- **حيثيات الطبع والنشر:** دار ميم للنشر الجزائر الطبعة الأولي 2016.

يعد غلاف هذه الرواية لوحة فنية تشكيلة، وهذه الألوان والأشكال عبارة عن مشهد من مضمون الرواية، فالصورة لم ترد إلا لتكون مؤشرا دالا على مضمون النص ولم تأتي عبثا.

وتصميم هذا الغلاف الفعال هو مصدر جذب الانتباه وإثارة الاهتمام.

الغلاف هو عنوان الرسالة وليس قبرا باردا، وهذا الغلاف يفتن متلقيه بالمعنى الذي ينساق وراءه.

[1] -http://www.diwanalarab.com.30.08.2019.15h

يعد تصميم غلاف هذه الرواية من أهم المراحل التي اعتنت فيها الكاتبة ودار النشر بسبب كثرة الكتب في المعارض وصعوبة جذب الملتقى فيتم جذبه من تصميم غلاف الكتاب وإن كانت تصاميم الأغلفة مرتبطة بمضمون الرواية فهذا سيعطي مصداقية وقوى أكبر في المكتبات ومعارض الكتب.

«البداية تكون مع صورة الغلاف والصورة كما جرت العادة، يمكن أن نفهم من خلالها، الدلالة الحقيقية والمجازية في آن واحد[1].

- أما بالعودة إلى الألوان وما تأثيره في نفسية المتلقي إلى جانب الأبعاد الرمزية والدلالية فنجد سامية بن دريس وظفت عدة ألوان وهذه الألوان لها عدة تأثيرات.

فنجد أغصان شجرة مغطاة بأوراق وردية حيث اللون الزهري يعطي إحساسا بالهدوء والبراءة كما أنه يرتبط وبالرومانسية والوردي لون الأنوثة النابضة بالحياة، وهو اللون الأكثر استخداما عند النساء.

وهذه الأغصان في خلفيتها يغطيها اللون الأخضر الذي يسرع القراءة ويزيل التوتر فهو متصل وبالطبيعة كما يدل على الراحة والابتهاج والسكينة.

وفي الواجهة الخلفية للرواية نجد صورة المؤلفة سامية بن دريس، تطالعنا صورة المؤلفة على لوحة الغلاف بخلفية زرقاء الذي يعتبر لون الهدوء والسكينة للدماغ ويوصف بلون السلم الآمن الطمأنينة والهدوء وهو لون الثقة يدل على القوة والثقة والعطاء والشفافية.

أما اللون الأخضر فظهر داكنا في الأول و أصبح يتلاشى تدريجيا فهذا يؤكد أن مريم عاشت فترتين في الأول عسر و في الآخر يسر.

ملخص الرواية:

[1]-نفس المرجع السابق.

تناولت رواية شجرة مريم معاناة المرأة الجزائرية وقدرتها على المقاومة والكفاح ومواجهة العنف.

حيث طرحت إشكالية الجراح والوجع والآلام التي تتعرض لها المرأة في المجتمع جراء الرجل والنظام الأبوي والعنف الذي مارسه عليها بشتى أنواعه وأشكاله جسديا ونفسيا.

حيث تناولت حياة مريم في العشرية السوداء وبعد العشرية السوداء، والتداعيات التي نتجت عنها، كما تروي لنا حادثة اغتيال أختها ريم في هذه الفترة من قبل الإرهاب الذين قضوا على شبابها، والحزن الذي لحق بي مريم وأمها زليخة، والذي ولد في نفسية أمها الرغبة في الانتقام من الذين سلبوا منها فلذة كبدها وحبيبة قلبها.

نلاحظ من خلال هذه الرواية أن ظاهرة العنف ضد المرأة عنصر طاغ في أحداث هذه الرواية، وتكشف لنا عن العديد من التناقضات والسلوكيات المسكوت عنها جراء الخوف

وهي قراءة لواقع المرأة الجزائرية المرير في مرحلة تاريخية وتوصيف لهذا الواقع وفق رؤية خاصة، من خلالها تتحدث عن معاناة مريم التي عاشت وناضلت وحيدة في زمن الوحوش والخنازير في قرية صغيرة تسمى كاف الحمام

كانت مريم نوارة كاف الحمام وبني عمران كلها، أين فسد قلوب البشر ويغطيها الخوف والظلم والقهر صورت فيها معاناة سكان كاف الحمام وبالأخص النساء العنصر الضعيف

بدأت أحداث الرواية في هذه القرية الصغيرة، أين ظهرت الأحزان وفي نفس الوقت التحديات، تحدي المرأة لقهر الزمان وصعوبة الحياة

لكن الرواية طبعا لم تخلو من الحب الحب الذي جمع بين مريم وياسين حيث أنجبت مريم منه ثلاث أولاد، ريم، فارس و ياسين.

بعد معاناة طويلة، والتداوي عند مريم البصيرة، واستخدام عشبة مريم للعقم سمته ياسين أرادت استعادة زوجها ياسين المقتول الذي فرد جناحه إلى السماء، من خلال هذا الطفل حيث وقعت قبل الثلاثين أرملة للمرة الثانية، وفي الأربعين وقفت على الرصيف رفقة ثلاثة أيتام لكن مريم لم تستسلم للعنف الذي مورسا في حقها، ولا لجبروت الزمان، رغم أنها عالقة بين ثلاث أولاد أحدهم أي ياسين سيبقى طفلا إلى الأبد أي "منغولي" يصعب رعايته وتربيته فكانت رجلا وامرأة في نفس الوقت، فكان العناد والمقاومة مصدر قوتها الذي رتق لها الجروح التي عاشتها، حيث لديها ثلاث أولاد تقاوم لتعيش من أجلهم، فقد استنفدت الدموع ولم يبقى لها غير المقاومة، فهذا هو المكتوب فلم تأتي إلى الدنيا للتنزه بل للعيش والكفاح والحرية

المبحث الثاني : العنف الممارس على بطلة رواية شجرة مريم زمن العشرية السوداء و بعدها

العنف الممارس على البطلة:

عانت مريم معاناة كثيرة وعاشت ظروفا صعبة الجبال لا تتحملها،وظلمت ظلما كبيرا من كل الجوانب حيث جرحت ووجعت من المجتمع وقهره، من العادات والتقاليد التي أجحفتها.

لقد تعرضت مريم بطلة الرواية للعنف بكل أشكاله وأنواعه و مورسا عليها عدة اعتداءات لفظية وجسدية وحتى معنوية خاصة في فترة العشرية السوداء وما بعد العشرية السوداء.

1-1- فترة العشرية السوداء:

عاش الشعب الجزائري في تسعينات القرن الماضي سنوات من الرعب والخوف امتزجت بسفك الدماء أطلق عليها اسم العشرية السوداء أو سنوات الجمر حوالي عشر سنوات من القتال بين النظام الجزائري والجبهة الإسلامية للإنقاذ فالإرهاب هو:«كل عمل عنف مسلح يرتكب بغرض سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو إيديولوجي أو ديني ينتهك المبادئ العامة للقانون الإنساني.» [1]، بدأت فصول الحكاية عام 1991، حيث تم إلغاء نتائج الانتخابات البرلمانية الجزائرية التي أسفرت عن فوز الإسلاميين بعدما مارسوا سياسة غسيل الدماغ علي الجزائريين باسم الدين في المساجد والزوايا وحتى الساحات العمومية بالإضافة إلى خطاباتهم أيام الجمعة الداعية إلى العنف والتطرف كانت عشرية سوداء بامتياز، ارتكبت فيها أبشع المجازر والمذابح التي استهدفت العديد من القرى والأرياف دون تمييز بين ذكر أو أنثى فكانت ضحايا الإرهاب الأولى هي المرأة وهذا عن طريق: «**الاستخدام** غير المشروع للقوة المادية بأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص

[1]-ابراهيم الحيدري، سوسيولوجيا العنف و الأرهاب، دار الساقي، بيروت، ط 1. 2015،ص33

والجماعات وتدمير الممتلكات، ويتضمن ذلك أساليب العقاب والاغتصاب والاعتداءات المختلفة والتدخل في حرية ألآخرين»[1]

وبذلك استطاعوا أن يستميلوا الشعب الذي كان آنذاك يعاني من الأمية والجهل بشعاراتهم الدينية واتخذوا من الدين الإسلامي مبدأ لهم ليلتف الشعب حولهم ويؤازرهم.

العنف كظاهرة اجتماعية معقدة، يصعب تحديد مفهومه وأبعاده، فإذا كانت درجات العنف متباينة، فإن الإرهاب يعد أسوأ هذه الدرجات وأخطرها فهو يهدد الدول والمجتمعات و الأفراد في استقرارهم وحياتهم.

لقد اغتال العديد من النساء من بينهم شهيدة حزب العمال الاشتراكي والحركة التسوية في الجزائر **نبيلة جحنين**، والطالبة **كاتيا بن فانا** التي اغتيلت أمام مدرستها لتكون أول شابة جزائرية اغتيلت بسبب رفضها ارتداء الحجاب<<يتسبب العنف بإحداث جروح في الجسد ويتسبب بإحداث جروح في الروح كذلك، إنه يجرح المفترسين و المفترسين والمفجوعين كذلك، إنه يجرح الإنسانية بأجمعها، ينتقص العنف من إنسانيتنا كثيرا.»[2].

في هذا المبحث نستعرض العنف الذي تعرضت إليه مريم وأختها وأمها، وجميع نساء كاف الحمام وتبيان الأسباب وراء هذا العنف بكل أشكاله وأنواعه، ومدى تأثيره على مريم وعلى شخصياتها وإنسانيتها.

تسبب العنف الممارس على مريم آثارا خطيرة على نفسيتها وجسدها وحتى صحتها.

يعتبر العنف الممارس ضد مريم سبب معاناتها ومشاكلها، رغم اختلاف أشكاله ويعتبر هذا الأخير و أقصد بكلامي العنف انتهاكا صارخا لحقوق مريم والمرأة عامة، والكلمات وحدها تملك حق التسلسل نحو هذه المعاناة و المأساة التي عاشتها بطلة الرواية وتصوير مدى ألامها والإهانة التي تعرضت لها، وهذا في قولها:«**وبسم** هذه التضحية ستثابرن على استقبال المزيد من الإذلال والإهانة وفائضا معتبرا من الألم[3]

---

[1]-المرجع نفسه، ص33.

[2]-سامية بن دريس، شجرة مريم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016،ص18

[3]-الرواية ص 18.

هذا النص يوضح لنا مدى الألم والإذلال الذي تحس به مريم والذي أثار سلبا عليها وعلى نساء القرية.

- تعكس مريم صورة المرأة التي تعرضت للعنف من كل الجهات و لم تسلم من أي طرف سواء من المجتمع أو من العادات والتقاليد أم من أزواجها.... الذي تسبب أي العنف بتغير حياتها ورميها إلى الجحيم جحيم الآلام والمعانات وعاشت جميع تفاصيله المرة المفروض عليها والذي تشبك فيها وأسرها. وهذا كله لسبب واحد كونها امرأة كونها أنثي مغلوب على آمرها ولم تدق حلاوة الحياة، وكانت هدفا مصوبا من كل الأطراف.

خاصة من فئة الذكور وتلاشت وأحلامها وعاشت مرارة الحياة وتذوقته بجرعات كافية لتحطيمها حيث قالت:« هاأنا مثل العنكبوت أغزل حرير والمرارة [1]

فليس من السهل أن تعيش المرأة وتقاوم الزمن الغدار و الأشخاص الذين يتمتعون في إيذائها واشرابها كأس المرار، وغوصها في عمق المأساة التي فرضت عليها وأجبرت على معايشتها رغم عنها ورغم أحلامها وآمنيها. ولا أحد يكترث لأنينها وصريخها.

عاشت مريم وتعرضت للعنف بكل أشكاله:

1- العنف الجسدي الممارس على مريم:

يعد العنف الجسدي من أكثر أنواع العنف الذي تعرضت له مريم من طرف فئة الذكور والذي تسبب لها بأذى جسدي وهذا أسوء شيء يلحق سوءا بالمرأة، وهذا من خلال الضرب الممارس عليها واستخدام القوة على مريم الضعيفة وهذا كونها أنثى:«أنت لا تعرفين معنى أن تكون امرأة أي امرأة مجرد قنينة محكمة الإغلاق [2]

غير مبالين بالجروح التي سببوها لها، غير مبالين بالمشاكل الصحية الناجمة، والكدمات والجروح التي قد تؤدي إلى اضطرابات داخلية، والتأثير في الحركة.

[1]-الرواية ص20.
[2]-الرواية ص57.

سبب هذا أن مريم أنثى امرأة وحيدة عانت الكثير لهذا سيطروا عليها وعلى آمالها في الحياة السعيدة. وقضوا على أنوثتها ونعومتها.

العنف الجسدي الممارس على مريم لحق بها الأذى وسبب لها مشاكل في سير حياتها، فلم تعرف طعم الحياة، بل تذوقت الغرب واللكم ونظروا إليها نظرة اشمئزاز وإذلال فقد أجبرت على السكوت وحد من حريتها وحرمها من أبسط الأشياء ألا وهو الصحة الجسدية وهذا انتهاك واضح وصريح لحقوقها. وهذا العنف تسبب في مخاطر صحية ونفسية كثيرة لمريم، وهذا بسبب تفشي الجهل ولامبالاة، وتدني مستوى المجتمع والتأثر المعتقدات الخاطئة بشرف العائلة والعفاف إلى جانب تبني وجهات النظر الداعية إلى فرض القوة الذكورية واستعراض العضلات على المرأة الضعيفة، وهذا العنف الجسدي لم يقتصر على مريم فقط بل امتد جذوره ليشمل أسرتها **أختها الريم و أمها زليخة**، ولم تكن مريم المتضررة الوحيدة من هذا العنف وقد أدى إلى وفاة أختها جزاء **الإرهاب** أو بما يلقبون **بالخنازير**، هذا ما ظهر في قول أمها:« **وقتل الريم أليس بدعة منكرة**».[1]

هذا يدل على العنف الجسدي المطبق على ريم، والذي أدى إلى وفاتها، وسيل دمائها ظلما وبدون أي ذرة شفقة، فليس من السهل أن تكوني امرأة خاصة في وهذه الفترة، فترة الخنازير التي تزهق ودماء المرأة وحتى الأطفال فقد دفعت ريم كونها امرأة ثمن العشرية السوداء باهظا، حرمها من أبسط حقوقها وهو الحياة، فقد خسرت حياتها جراء حلوف ابن حلوف كما تقول أمها. ولم تقتل نفسها ولم تشنق نفسها. حيث قالت:« ابنتي لم تقتل نفسها، هناك حلوف بن حلوف قتلها، خنق زهرة شبابها، لأنها وقفت أمامه كالجدار، هي ابنة الأحرار ولن تقتل نفسها وبركة الحناء في كفيها، الحرة لا تقتل نفسها».[2]

[1]-الرواية ص73.
[2]-نفسه ص73.

هذا يؤكد مقتل الريم الذي جاء فاجعة لمريم وأمها زليخة وأحرق فؤادهما، وفوز دمهما كدم الشهداء وفوزه قلبها التي بلغت الذروة بسبب الخنازير الذين زهقوا شباب الريم وجمالها الذي لا يهون التي كانت نواره كاف الحمام، بل وبني عمران كلها.

لم تمر العشرية السوداء على مريم وأهلها مرور الكرام، بل كانت عشرية كل شيء فيها مضاعف الموت الجراح... كانت عشرية سوداء بامتياز، ارتكبت فيها أبشع المجازر والمذابح الذي استهدفت العديد من الفتيات.

دفعت مريم في تلك الفترة ثمنا باهظا وهي مقتل أختها الريم والعار الذي لحق بها حيث ظن أهل كاف الحمام أن أختها شنقت نفسها لتخفي الفاحشة التي فعلتها، لكن لم تصدق ذلك فزفوا الريم إلى بيتها الأبدي :« في الطريق السرب ثعبان لاهثا بعد قيلولة قائظة مندفعا نحو هواء الغروب، وفرت فارة رمادية من بين أرجلنا فيما نقت ضفدعة من الحقل المجاور، إذ اشتمت الخطر المحدق هذه المخلوقات تتأهب للوليمة احتفالا بجسد الريم الندى وتتهيأ لالتهام سنواتها الثالثة والعشرين المشبعة بالماء والحليب والسكر»[1]

قد مورس بحق مريم أبشع الانتهاكات خاصة التحرش الجسدي المفروض عليها حيث حولوها إلى سلعة تباع وتشترى في وضح النهار من دون الاكتراث لإنسانيتها. فبسبب العنف الجسدي الذي عاشته أصبحت تتألم بصمت خوفا من الفضيحة والعار كما علموها أهلها في الصغر أن تسكت حيث سكتت عن القسوة، وتحدثت بصمت عن العنف الجسدي في حق أختها الذي أدى بحياتها وهي في عز شبابها، فتقول:«**أعرف الآن** أنه يمكن للقبح أن يجهز على امرأة، يمكن للبشاعة أن تقتل امرأة، القسوة يمكنها أن تفعل ذلك، تلك الرائحة التي تنبعث من أعماق الروح، من أقاصيها، رائحة الحذاء الثقيل والجوارب والسترة الخشنة، والياقة المتصلبة منذ أزمنة الحنين الأول كالبصل المتعفن والماء الآسن تلك هي الرائحة التي قتلت الريم»[2]

---

[1]-الرواية ص77.
[2]-نفسه ص77.

يعني هذا أن العنف الجسدي والقسوة وبشاعة هذا العنف أدي إلى قتل الريم دون خوف وبدون مبالاة، قتلت بوحشية كبيرة.

عانت مريم وتعرضت لسلوكات موجها ضدها، وهذا عن طريق القوة والشدة والإكراه بدرجات متفاوتة من التميز والاضطهاد والقهر لكونها امرأة، وهذا ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بينها وبين الرجال في المجتمع، وهذا ألحق الأذى بها جسديا وبدنيا وهذا العنف الذي تعرضت له مريم و أختها ريم يعتبر ممارسة قديمة ومتوارثة بين الأجيال خاصة في مجتمعنا الجزائري بهدف التملك والسيطرة، فالرجال الذين مروا بحياتها أظهروا أسلوب القوة والسيطرة أحدثوا لها أذى وأضرار جسدية، وهي راضخة وساكتة للإساءة والاستضعاف و الإرغام

هذا حدث بسبب ألنظره القاصرة على مريم كوجود ودور وظيفة بغرض أن يحطوا من قيمتها، وبسبب النظرة الدونية لمريم كإنسانه بسبب النظرة القيمة الخاطئة لمريم، بسبب التقاليد المجحفة كونها وحيدة لا أحد يحمها:«أنا مريم الهاربة من طفولتها المستعجلة، لتسلق أسوار النساء– أنه على المغامرة في هذه الحياة: ليس لدي أب يحميني أو يعترض سبيلي، الحماية كثيرا ما تأخذ هذا المفهوم هذه هي الضريبة التي تدفعها النساء، قديما كانوا يسمونها الجزية وهذه الجزية ليس لها نتيجة الاختلاق في الملة ولكن سببها– بالنسبة لنا نحن النساء– الاختلاف في الجنس[1] .

لهذا تكاثرت الوحوش على جسدها كونها امرأة وحيدة تهالت عليها الضربات الموجهة لجسمها. وهذا بسبب البيئة التي تربت فيها مريم ونظرة المجتمع الخاطئة للمرأة، وانتهكوا حرماتها، وهذا الظلم كبير عليها، كبير على امرأة رقيقة مثل مريم، فليس من السهل لامرأة وحيدة العيش في زمن الوحوش ماذا تردين أنت تفجير فؤادي؟ تحطيمي كالآنية الفخارية القديمة؟ ماذا تردين أنت الأخرى السير على درب[2] آخيك؟ تفوه ذرية النحس، الحبل الذي

[1]-الرواية ص91.
[2]-الرواية ص91.

التوى على رقبتي، بنات لعيينات لو كان لكن أخ ما حدث الذي التوى على رقبتي، بنات لعيينات لوكان لكن أخ ما حدث الذي حدث»

وهذا يعني التفريق بين المرأة والرجل واستحقار الأخير المرأة.

نظرة المجتمع للمرأة الوحيدة، جعلها فريسة سهلة للوحوش التي تقتات جسدها كالحيوانات المفترسة، فهي طعم سهل لهم خاصة في زمن العشرية السوداء الذي اعتنق بنات كاف الحمام حتى أخت مريم لم تسلم من الخنازير الذين فسكوا دماءها و أخذوا بروحها البريئة، هذا جراء العنف الجسدي وقلة الرحمة و الشفقة في قلوب الناس، هذا يدل على أزمة ما في قلب الحياة، والآفات واللعنات التي حلت بالقرية، أدت إلى فسك الدماء دماء الفتيات البريئات، وهذا العنف الجسدي الذي مس مريم و أختها حتى أمها يعود إلى علاقات القوة غير المتكافئة تاريخيا بين الرجل والمرأة التي أدت إلى الهيمنة، وعدم المساواة بين الجنسين، وهذا أدى إلى التمييز بين المرأة والرجل وهناك قائمة لا نهائية من الأسباب والدوافع التي جعلت مريم وحتى أختها ريم أن تكون عنصرا مستضعفا ومعنفا في بيئتها الاجتماعية.

منها: العادات والتقاليد التي تجبر مريم على الرضوخ للعنف والتعنيف والسكوت عنه، ميل الرجال إلى السيطرة والتحكم....:«وها قد عدت، أترين الجروح والخدوش، في يدي وذراعي ورجلي وفي كل مكان من جسدي، هل عرفت من هو صالح يا أمي؟ أيرضيك هذا؟ أنت الحرة ابنة الأحرار أيرضيك هذا؟».[1] هذا يدل على أن الإرهاب وحوش قادرين على: لحم ابن آدم نبئا وهم يقتادون أرواح النساء متناسين الخبز والملح.

هذا الكابوس الذي يهدد مستقبل مريم نتيجة التحول المفاجئ الذي عرفه المجتمع في فترة الخنازير:«هم لا يفرقون يا أمي بين المرأة والمرأة، ولا بين الرجل والرجل لم يرحموا حتى الأطفال والأجنة الجزارون يا أمي لا يعرفون غير جز الرقاب.».[2]

[1]-الرواية ص 116،117

[2]-الرواية ص120.

فالإرهاب يتمتعون في جز الرقاب وممارسة العنف الجسدي بشتى أشكاله:« لا أريد أن يتمرغ اسم عائلتنا بالتراب، بل قولي بالدم لأننا في موسم الدماء والسبي والموت المجاني ياأمي، ولسنا استثناء لأن الطوفان يجتاح البلاد كلها».[1]. هذا يدل على أن هذا العصر" العشرية السوداء" عصر الدم والنار.

فتتبع المسار الدموي الذي عصف بالمجتمع الجزائري والذي كاد يقلب كل المعايير والقيم رأسا على عقب يكشف لنا معاناة بطلة روايتنا مريم التي تعرضت للعنف الجسدي ومدى عمق مأساتها في العشرية السوداء وما عنته في تلك الفترة من جحيم أخطبوط الإرهاب أدهنوا أبدانكم بالسم القاتل و دمروا كل شيء ليخفف الناس المروعون من ضجيجهم لنرجع إلى التراب الحيوانات المذعورة، بين القطعان، أنا الجزار، أنا النار في منابت القصب والفأس في الغابة، أعصف كالريح وأهدر كالرعد، سوف أقطف الأعناق سوف أقتل وأبيد كل حي، لن أعفو عن أحد حتى لا يتجدد النسل سوف أشل أجنحة الريح السيئة وكأنها طير داجن.» [2]

فقد مسخ وسحق القرية وزرع الحقد في القلوب و أفسد قلوب البشر، وتناسل الحقد بينهم.

لقد شدوا السكاكين وجزروا رقاب الفتيات، وهذا انتهاك صارخا لحقوقهن وأحلا مهن:«كل شيء حرام، الماء حرام و الهواء حرام والخضرة حرام والوجوه الحسنة أيضا ما الحلال إذن؟ القتل؟ قتل الأطفال وبقر بطون النساء وسبيهن؟ أذبح الرجال وتيتيم الأطفال؟ أترويع الحمام هو الحلال؟.»[3]

أي أن الحرية منعدمة في كاف الحمام، وانتشر فيها القتل والعنف الجسدي، وغياب كلي للأصالة الجزائرية، وأصبح من الصعب جدا أن تعيش المرأة حريتها في ظل هذا الجو العارم بالدم والنيران في كل مكان وفي كل بقعة في هذه القرية، وعاشوا مأساة رغما عنهن في مجتمع بطريركي "ذكوري".

---

[1]-نفسه ص121،120.
[2]-الرواية ص130.
[3]-الرواية ص133.

كانت عشرية سوداء بامتياز، ارتكبت فيها أبشع المجازر والمذابح التي استهدفت النساء خاصة يعني أن آكل القوت وأنتظر الموت؟

تقلب شفتيها باشمئزاز أحرام أن أشرب عسل حلمي؟ أحرام أن أعتقه حتى يصير أصيلا، أحرام أن أربيه كالطفل بين يدي وأذلل أطرافه قليلا قليلا؟ أحرام أن أعيشه؟ الحياة هنا هي أن أتجلل بالسواد كالشبح وأدفن روحي في سر داب ضيق لترضوا عني وتشفقوا على ضعفي وقهري[1] أي تحريم كل شيء عليهن وقهرهن وممارسة العنف عليهن

يعتبر العنف الجسدي الممارس ضد مريم من أبشع السلوكيات التي تعرضت له، لكونها من الفئات الضعيفة أي لكونها امرأة، باعتبار أن العادات و الأعراف الجزائرية تفرض على المرأة السكوت وعدم المطالبة بحقها من أجل الحفاظ على شرفها وشرف عائلتها فمر يم بعد موت أختها وأمها رضخت للمكتوب وتزوجت دون حب وقناعة، هذا ما أدى إلى تحقيرها و التقليل من شأنها:«تحضت بالصمت، نكست بصري نحو الأرض لم أكلف نفسي حتى مجرد الشرح لأقتل النار الملعلعة في دمة، ولم يمهلني طويلا، هوى على بكفه الأيمن صفعة أولى وثانية وثالثة، في البداية التمتعت النجوم والبرق بين عيني، وبعدها لم أعد أرى أو أحس بأي بريق شدني من شعري ولا حضت خصلة كسينائية لا معة في قبضته، وكالبلهاء بقيت واقفة.» [2] ، فمريم سكتت ولم تدافع عن نفسها، لأن ألحميدي زوجها هو الأمل الوحيد الذي بقي لها فلم يعد لها أحد في هذه الدنيا الغادرة وهو تزوجها ليبني بيتا بأرخص الأثمان ووعده لأمه أن يملأ حجرها بالأطفال:«وأنا لأتصدى للجدران الصلبة وأسكت ألسنة السوء التي لسعت جلدي وماذا ستنتظر شابة وحيدة ماتت أمها وهجرها زوجها في قرية اسمها كاف الحمام:» [3].

[1]-الرواية ص135.
[2]-الرواية ص152
[3]-الرواية ص151

فرغم الجروح والضربات المتكررة على مريم من طرف صويلح لازمت السكوت، مرغمة عنها، وعاشت معاناتها بصمت وهدوء، من طرف المقربين لها زوجها الذي كان من المفروض أن يكون سندا لها أصبح شوكا ينهش جسدها باللكمات و الضربات التي عادت سلبا على جسد مريم، متعمدا اذاءها. ليثبت رجوليته وقوته المدفوعة بالعصبية الجسدية، وما بيدي مريم إلى السكوت، والرضوخ لتهديدات صويلح المتكررة، والضربات المتتالية واحدة تلوى الأخرى الذي أنهك جسدها الضعيف، وهذا بسبب العادات والتقاليد المجحفة في حق مريم.انقلب الناس وحوشا باسم العادات والتقاليد والموروثات البالية التي اعتدنا عليها خاصة في زمن العشرية السوداء، فالعادات والتقاليد هي عائق في وجه مريم:« أنا مريم الجميلة لولا تحالف تلك الظروف جميعا أقبل أن أقترن بالحمدي؟ ماهي مؤهلاتك يالحميدي وأنت لاتكاد تفك حروف اسمك؟ ماعملك لولا قطعة الأرض التي ورثتها أمك عن والدها قطعة بحجم المنديل لاتكاد تشبع فرخا، وأنا أي موج قذفني علي صخور شطالك؟ ما كان هذا ليحدث لولم أكن الصندوق المغلق»[1]

فمريم ذهبت ضحية العادات والتقاليد المجحفة.

فمظاهر التمييز ضد مريم نتج عن النظرة إلى طبيعة المرأة، وإلى العادات الثقافية والاجتماعية، هذا ماميز الطابع للذكوري الذي أسقط جبروته على المرأة، وأقحمها في عالمه المليء بالعنف والضرب. هذا ما أعطى لصويلح الحق في ظرب مريم و أصبح دورها مقتصرا على الجلوس في البيت وإعداد الطعام و تحضير مستلزمات الحياة للرجل:« ارقصي يابنت زليخة، ارقصي يالكلبة بنت الكلب، وبحركة مستعجلة نزع حزامه الجلدي، جلدة جلدتان، صرخة مكتومة، عشر جلدات خمسون ثمانون، مئة ومئتان ألف جلدة، تجاوز حد من ارتكب كبيرة من الكبائر، كانت آلة التأديب هذه المرأة قاسية لأبعد الحدود، أتلوى كالثبان ولا أصرخ، أسمع صفيق حزامه على ساقي وفوق زندي وظهري وكتفي»[2].

[1]-الرواية ص152.
[2]-الرواية ص154.

فالتميز بين الجنسين أدى إلى احتقار المرأة، وهذه المفارقات أدت بالرجل إلى تعنيف المرأة ومريم إلا نموذجا من آلاف النساء الذين يتعرضون لكل أشكال العنف خاصة العنف الجسدي، هذا جراء الثقافة الجزائرية المجحفة، وبسبب هذه العادات والتقاليد والتمايزات بين الرجل والمرأة، وبسبب هذه الفرقات أدي إلى قمع المرأة، وظهور مايسمى بالطابع الأبوي للأسرة، وهذا الطابع يتسم بالسلطة والخضوع على حساب المرأة الجزائرية التي تعاني في صمت.

تسلط صويلح على مريم جراء هذا الطابع الأبوي، وساهم في إنتاج ثقافة شعبية حول المرأة، فصورة المرأة عبارة عن صورة المخلوق الضعيف الذي يحتاج إلى الوصايا والحفظ، فالتراث بكل صورة وعاداته وقيمه وأمثاله وأقواله وحكمة قبع على مريم:«مرة أخرى جلدني، الأداة وحدها تغيرت في يده صار السوط الرقيب اللاهب، أي جنون سكن هذا الرجل؟ وأي جنون سكن هذه المرأة لانقاش في جنون تلك اللحظة الدامية، كلت ذراعاه وكاد قلبه ينفطر من الغضب والحنق والشبق، غلا الدم في عروقه، أقسم أنه فقد عقله في تلك اللحظة حتى سقط شبه مغشي عليه، فتراخى متهالكا على الفراش عند قدمي التمثال العاجي.» [1]. فصويلح اعتاد على ضرب مريم بسبب سلطة الرجل على المرأة، وبسبب الوضعية المتدنية للمرأة في المجتمع، وبسبب الجهل في كيفية التعامل مع المرأة، وهذا ماأدى إلى تفشي ظاهرة التمييز والعنف ضد المرأة:« ثلاث ليالي وجسدي يتقلب تحت نار السوط من أجل ترويض الحصان الجامح، والحصان حرون، يتمرد على كل لجام أو قيد، يصهل في الداخل دون أن يعلن صوته، الغريب أن أمه ظلت صامتة، تقلب عينيها في وجهي ولا تستبيح حزني، لا تهرق عبارات مريرة كما تفعل العجائز ، تتكلم على سرها المتخفي، تداري الصباح بابتسامة باهتة لا تبعث على الراحة.» [2].

[1]-الرواية ص155.
[2]-الرواية ص156.

صويلح مارس العنف الجسدي على مريم، واستغل جسد مريم بصورة بشعة ومثيرة للاشمئزاز بشتى الطرق لإذلالها و الهبوط من قيمتها.

1-2- العنف النفسي الممارس على مريم:

تسبب العنف النفسي الذي مورسا بحق مريم بإذائها نفسيا، ما تسبب لها بصدمات نفسية، وهذا مايولد القلق الاكتئاب المزمن وهذا من طرف الرجل الذكور، وقد اتخذ عدة أشكال:

- تحقير مريم وإذلالها، والتقليل من قيمتها وإنجازاتها وطعنها بعبارات قاسية، وجرح نفسيتها بعبارات لفظية والتلاعب بمشاعرها، فقد انتهكت مريم واعتديا عليها نفسيا وبألفاظ رهيبة و مورعة، فقد تأثرت مريم و أمها بمقتل الريم:« فلم التكتم يا أمي؟ قولي إن رحيلها هو الجرح المنقوش في قلبك، قولي إنه الندبة التي لا تمحى والوشم الذي أدمى روحك وجسدك و الضربة التي قصمت ظهرك نصفين، حتى صار اسمها نوعا من العار و الكلام البذيء و السر المحرم الذي لا تتجرأ على اللهج به في حضورك.» [1].

فمريم وأمها تأثرتا بي مقتل الريم من طرف الخنازير.

إن المرأة في المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات العربية تعاني من العنف النفسي اللفظي الذي يجرح مشاعرها ويحط من قيمتها ومريم نموذج من هذه المرأة التي اعتديا عليها لفظيا بعبارات قاسية ومؤلمة، وقام زوجها والمجتمع أي في قرية كاف الحمام بإذلالها وتقرير مصيرها، فأهنوها وتفتنوا في تشويه سمعتها. مستمدين القوة والسيطرة من العادات والتقاليد الغير ناصفة للمرأة رغم أنها مجرد اعتقادات خاطئة روجت لها من طرف الرجل وهذا راجع إلى الأمية التي تفعل ما تريد باعتبارها أحد الأسباب الرئيسية و خصوصا في قرية كاف الحمام التي تعتبر أن المرأة خلقت لتكون زوجة و أم فقط، واجبها الأول والأخير هو إنجاب الأطفال و طاعة الزوج وخدمة الأسرة. وهي ساكنة لا تتجاوب مع الألم :« يحدث كل هذا و لا أنجاوب ألا يكفي هذا لأكون امرأة ميتة تدب فوق التراب عن جدارة، جدارة الألم

[1]-الرواية ص104

واجترار الصبر.» [1]. تحملت مريم الإهانات الموجهة لها بصمت وهدوء وتسكت عن الألم و تتغاضي عنه، وتشرب كأس القهر بهدوء.

تعتبر مريم ضحية لهذا العنف النفسي وتتحمل لوحدها الإهانة نتيجة العنف الذي تعرضت له من قبل الأخر حتى أختها و أمها لهم نصيب من هذا العنف، وهذه الحالات تبعث على الأسى والحسرة، تعد مريم عينة من النساء اللواتي جر حنا بالكلام القاسي والمنبوذ وتحملنا الشتائم من قبل الرجل.

إن الذهنيات السائدة جعلت الرجل يرسم لنفسه مكانة خاصة على حساب المرأة التي تعرضت لشتى أنواع الشتم، لأنها بكل بساطة تبقى ذلك المخلوق الذي عليه المشورة في كل أمر و في كل صغيرة وكبيرة:« أنا هربت منه،لا يمكن أن أعيش في ذلك البيت الموت أحب إلي،صالح خنزير هل تفهمين يا أمي؟إنه خنزير وأنا لن أعود إلى بيته حتى ولو قتلت نفسي رائحته، أسنانه كالمذاري، أراه كعفريت، هو ليس من البشر إنه مخلوق غريب مخلوق آخر يا آخر يا أمي قادر على أكل لحم ابن آدم نيئا هل تصدقين؟ آه صدري يضيق.....» [2].

كل هذه المعاناة وضيق الصدر بسبب الرجل الذي يمارس العنف على المرأة المخلوق الضعيف.

مريم وجميع نساء كاف الحمام تعرضن لأبشع المعاملات، وهذه الظاهرة تجرح المشاعر وهذا بسبب مستوى الوعي من قبل البعض الذين فضلوا اقتراف الظلم في حق المرأة، التي لا حول لها ولا قوة، أمام جبروت الرجل.

[1]-الرواية ص106
[2]-الرواية ص116.

تأثرت مريم بمقتل أمها وأختها نفسيا وعاطفيا:« فلا عجب أن أخزن أليست التي ماتت هي أمي وفي يوم عرسي؟ ألست عزلاء بلا أب و لا أم ولا إخوة، ألست الفتاة الثالثة بعد اثنتين كسيرتي الجناح.» .[1].

تجرعت مريم الألم من كل الجوانب ومن كل الجهات، وشربت من كأس الوجع المر. وعاشت ظروفا قاسية، قاسية على امرأة وحيدة وفي قرية بسيطة، وارتكب في حقها أبشع أنواع العنف و السيطرة.

تشهد كاف الحمام معاناة والحياة المأساوية التي عاشتها مريم و المرار الذي تذوقته، ولم تخلوا حياتها من الشتم والإهانة اللفظية بسبب الرجل الذي أحكم زمامه على المرأة، ورغم كل هذا تبقى مريم ساكنة، ولم تبوح بشيء، وكتمت على ذلك بسبب طبيعة المجتمع والأعراف المتداولة التي توبخ المرأة المبلغة ضد تعنيفها والاعتبارات اجتماعية وثقافية.

العنف النفسي الممارس على مريم يعكس القيم التقليدية، التي تكرس هيمنة وسيطرة الرجل على المرأة، وعلاقة الخضوع بينهما مثل خضوع مريم لجبروت زوجها، وجبروت المجتمع الأبوي.

يتحول العنف النفسي ضد المرأة في بعض الأحيان إلى جزء من ممارسة الرجولة والقوامة ويزيد من قيمة الرجل على حساب المرأة. التي تسكت على الحزن:« ومرت أيام الحزن ثقيلة وخاوية والفضاء السد يمي ينفتح بلون الضباب أمامي بلا معنى، وبلا نهاية، وأنا وحيدة في هذا الامتداد عزلاء وعارية القلب.» [2]. أي أن مريم عانت وحيدة وتجرعت الألم لوحدها بدون سند أو قلب يحويها. وهذا تسبب لها جروحا وعاهات نفسية، وهذا خلق آثارا صحية على نفسية مريم، وهذا يبرز خضوع مريم للهيمنة الذكورية على أساس التقسيم الجنسي للأدوار الاجتماعية، بحيث يتموضع الرجل في فضاء عمومي وتنعته بالقوة والشدة والسيطرة

[1]-الرواية ص141.
[2]-الرواية ص142.

والهيمنة، في حين تموضع المرأة في فضاء خاص وتنعتها بالخضوع والمسالمة و التبعية للرجل، فلم تسلم مريم من الشتم في وجهها وحتى في غيابها:« يتأخر عن دخول البيت، يمكث مع أصدقائه تارة ومع أمه تارة أخرى، يمضغان كبدي ويحرقان فؤادي وأنا صامتة لاأقوى على رفع عيني تحت حجابي»[1] هذا يؤكد سيطرة الرجل على المرأة وهذا يبرز وضعية المرأة التي تتموقع في درجة أقل من درجة الرجل في تشكيلية اجتماعية حددت مكانة وموقع كل منهما مسبقا، ومنذ البدايات الأولى للتنشئة الاجتماعية مع التكيد على عدم تجاوز الحدود المرسومة لكل جنس.

تساهم الأعراف والتقاليد في إذلال المرأة، فتظل في نظر المجتمع مجرد قاصر، غير قادرة على تقرير مصير حياتها، واتخذوا من العنف وسيلة لتأديبها، باعتبارها كائنا من نوع خاص يشكل مصدر العار و الفتنة، ونجد أن الرجل تفنن في تطبيق هذه السلطة بدليل أنه يتمادى كثيرا في إحكام سيطرته على المرأة والتصرف في حياتها فمريم لم تسلم من هذه السيطرة حتى من عجوزتها التي لعنتها:« ألا تعرفين أين ذهب؟ ياخوفي لو يكون لحق صالح، من يقترب منكن يابنات زليخة يهلك، أنتن كالنار، تحرق وتشوه وتأكل اللحم و العظم».[2]، هذا يدل على آلام ومعاناة مريم التي لم تسلم من أحد. ولم تسلم من جبروت العنصر الذكر من منطلق، الرجال قوامون على النساء.

تعتبر مريم الضحية الأولى وتتحمل لوحدها الإهانة جراء العنف الذي مارسه زوجها عليها.

إن الذهنيات السائدة في المجتمع الجزائري جعلت من الرجل يرسم لنفسه مكانة خاصة على حساب المرأة التي تتعرض لشتي أنواع العذاب والمآسي <<الحزن يفعل المستحيل يهدم البيوت و الأجساد ويطفئ الأرواح لعله أخطر أعداء الإنسان أنا أعرفه، أعرف سكراته، تمرنت على ظلاله القاتمة وجربت انحداراته السحيقة، وهو نفسه كتم أنفاس أمي وعبث

[1]-الرواية ص143.
[2]-الرواية ص144.

بخالتي زبيدة»[1]، تعرضت مريم للإساءة النفسية بهدف إضعاف ثقتها بذاتها والإخلال بإحساسها بالقدرة والثقة، ونظروا لها نظرة اشمئزاز<< نظر إلى باشمئزاز قاس: أنت قاتلة، قلت لا، قال: أنت مخادعة، أنت كومة الرماد، جبل الرماد الذي يكبر يوما بعد يوم»[2]، لقد عنف صويلح مريم باستخدام الألفاظ المثنية فهذا العنف النفسي يقف عند حدود الكلام و الإهانات بالسب والشتم، وهذا من أشد أنواع العنف خطرا على الصحة النفسية.

يعتبر التمييز وعدم المساواة بين الجنسين من الأسباب الجذرية للعنف ضد مريم، حيث يرتبط العنف النفسي بمريم لإفتقارها إلى السلطة والسيطرة، بالإضافة إلى الأعراف الاجتماعية التي تحدد دور الرجال والنساء في المجتمع هذا ما جعل مريم تتغاضى عن الإساءة، بالإضافة إلى فرض القيود على حرياتها وخياراتها، وهذا راجع إلى انخفاض مستويات التعليم وينعكس آثار العنف المأساوية على المدى القريب و البعيد على الحالة النفسية لمريم والنساء عامة:« ارقصي يا بنت زليخة ،ارقصي بالكلبة بنت الكلب »[3]

،هذا يؤكد مدى معاناة مريم من طرف زوجها، تعد ظاهرة العنف ضد المرأة من أخطر الآفات الاجتماعية التي تجتاح المجتمع الجزائري:« راح يتفحص ظلي في الجدار على وجه المرأة الغائم ،و يتنفس بسرعة مخنوقة ،منتصبة كالعمود في العتمة ،أنفاسي تتصاعد و البكاء يولي، عجيب وهل كنت بحاجة لأتعلم الصراخ؟.»[4]. هذا العنف ولد مريم مشاكل نفسية فقدانها الثقة بالنفس وشعورها بالكآبة و الإحباط بالإضافة إلى عدة اضطرابات نفسية، ويعود سبب هذا العنف إلى ضعف الوازع الديني الذي سمح للعنف أن يمارس ضد مريم:« وبكيت في ذلك المساء، بكيت نفسي وبكيت أمي، ذرفت الدموع على شباب الريم وموتها الغامض بل بكيت ياسين و ألحميدي للمرة الأولى تطاوعني دموعي تستسلم بعد عصر من القحط كمطر صيفي مفاجئ تنحدر تتدفق وتنسكب بحرارة، أرثي القرية بأسرها بموتاها

[1]-الرواية ص144.
[2]-الرواية ص154.
[3]-الرواية ص155.
[4]-الرواية ص159.

وأحيائها.» [1]، إن المجتمع الجزائري على غرار المجتمعات العربية، لا تزال تخضع فيه المرأة من بينهم "مريم" بشكل مستمر للسيطرة الذكورية، سواء الأب، الأخ، أم الزوج، إلى جانب سلطة الأعراف والتقاليد التي تساهم في إذلال المرأة، تظل في نظرهم مجرد قاصر، خلقت فقط للزواج، واتخذوا من العنف وسيلة لتأديب المرأة.

1-2- بعد العشرية السوداء:

حولت مرحلة التسعينات وما عرفته من إرهاب طبيعة المجتمع الجزائري، وكان لها الأثر الكبير في مايعيشها المجتمع اليوم من أعمال العنف خاصة ضد المرأة.

لاشك أن للعشرية السوداء وجزائم الإرهاب في الجزائر أثر كبير في طبيعة المجتمع الجزائري اليوم، ومظاهر العنف التي تشهده المرأة في الجزائر:« لقد تغير الوضع يالالة، هنا أيضا هاجر الأمان، لقد صار الناس يقتلون بطريقة بشعة و يختطفون الأطفال، وينتحرون شنقا وحرقا، يتناولون الممنوعات فما الفرق إذن؟ وكما قلت، لقد صارت الأرض محمولة على قرني ثور هائج.» [2]. هذه من بين الآثار السلبية التي ولدتها العشرية السوداء في نفوس البشر و التي انعكست سلبا على حياة مريم.

إن العشرية السوداء خلفت آثار وخيمة على قرية كاف الحمام، ولدت جروحا وصدمات نفسية تشعرهم بالخوف والهلع. عانت مريم ونساء كاف الحمام من ويلات الإرهاب، وتسبب خناجره من ترك ندبة ظاهرة للعيان، مايجعلك تقرأ الحزن و الأسى في عيونهم التي أنهكتها الدموع على فراق الأحبة خسارة مريم لأختها ريم التي اغتيلت من طرف الإرهاب حتى البسمة التي كانت في شفاه مريم وأمها زليخة التي كانت البسمة على محاياهم قد ذبحتها سكاكين الأزمة والشوق.« كان هؤلاء الثلاثة هم شغفي، أغني بالتحديد أختي ريم، التي خلفت حفرة عميقة بر حيلها في تلك السن، فتفتق الشوق والشغف إلى أمسياتها وكلماتها

[1]-الرواية ص159.
[2]-الرواية ص 30.

التي من أحجار ثمينة، كنت مشتاقة وطبعا لم يكن تأنيب الضمير هو المحرك الذي يدير العجلة، وإنما كان الشوق وحده، أردت أن أقول لها: إني أشتاق إلى روحك.»[1]

هذا يعكس المعاناة التي خلفتها العشرية السوداء والجروح التي سكنت القلوب و العقول.

كانت سنوات الجمر أو بما أصطلح عليها "عام المجازر" اكتوت بها قلب مريم وأمها، فكانت كاف الحمام مسرحا لأبشع العمليات الإرهابية، والصور الإنسانية التي خلفتها أيادي الغدر الهمجي، وقتها ذاق سكان القرية كاف الحمام مرارة العنف الذي بلغ مداه، بفعل الرعب الذي زرعته هذه الجماعات في نفوس الناس بالأخص المرأة، هكذا تولد الحقد والانتقام في نفس أمها:« إن كان لابد من الموت فلتمت كما يموت الناس، لم استعجلت؟ كان عليها الانتظار لا الذهاب إليه بقدميها، ثم أضافت ومن قال إنها ذهبت إليه بقدميها؟ هناك أيد وسيوف وحبل التف حول عنقها الجميل، قسما بالله سأنتقم لابنتي، ياويلك مني ياغدار ابن غدار يا حلوف بن حلوف،همهم صوت أمي كصرير باب عتيق أكله الصدم.» [2]، هذا أسفرت عنه العشرية السوداء، فالبعض الآخر وصل إلى حد الجنون بسبب شبح الإرهاب. ليس من السهل مطلقا أن تكون امرأة، خاصة بعد العشرية السوداء، حيث دفعت مريم وأمها ثمن هذه الفترة باهظا. حرمها من جميع حقوقه، بسبب الخوف الذي زرعته في النفوس، وبسبب الضربة التي تلقتها جراء اغتيال الريم:

«فجأة رأيت أمي– لم يحدث هذا من قبل– شجرة هرمة عارية من الأوراق، سوداء الجذع و الأغصان، جف حليبها وتيبست جذورها، وهاهي اليوم سنواتها تشتعل دفعة واحدة وتحيلها كومة سوداء ورمادا قاتما هو بقايا حياة، وبقايا جذوة كانت تلتهب ثم انطفأت، وكأنما دخلت عالم الشيخوخة المتقدمة فلبثت في الفراش بضعة أسابيع، ابيض فيها شعرها دفعة واحدة.» [3].

[1]-الرواية ص 36.
[2]-الرواية ص 81.
[3]-نفسه 81.

هذا ما أسفر عليه الإرهاب، ولد الانكسار و الوجع الذي لا شفاء منه حتى بعد مرور أعوام وسنوات.

بعد العشرية السوداء، اقتحمت أفكار متطرفة دخيلة على المجتمع الجزائري، جعلت وجود المرأة عيبا و عارا. انتهت العشرية السوداء حقا، لكن لم تنتهي المأساة بالنسبة لي مريم ونساء كاف الحمام اللواتي عايشن هذه الفترة العصبية التي مرت عليهم:« يحدث كل هذا ولا أتجاوب، ألا يكفي هذا لأكون امرأة ميتة تدب فوق التراب عن جدارة، جدارة الألم واجترار الصبر.» [1] مرت العشرية السوداء حقا لكن خلفت أوشاما لا تنسى ولا يمحيها الزمان. ولا السنوات التي تمضى باستطاعتها نسيان الصور اللإنسانية التي خلفتها أيادي الغدر الهمجي والتهمت كل شيء، فقد ذاقت مريم وشبيهاتها من النساء، العزل ومرارة العنف الذي بلغه حده، بفعل الرعب الذي زرعته هذه الجماعات.

«مضى عهد العسل وتشرد الفرح و مات الضحك»[2].

ليس سهلا أن تفتح جراحا كادت أن تصبح ذكرى وتنبش في قبو الذكريات الأليمة و تستخرج منها رفات الماضي وحدها الدموع التي تندلق من عيون مريم كافية لتتأكد أن جرح العشرية غائر.

[1]-الرواية ص107.
[2]-الرواية ص132.

المبحث الثالث : تمرد و مقاومة البطلة على العنف الممارس ضدها.

مريم شخص عاطفي بامتياز، رغم شموخها تنكسر بسرعة، ورغم توالي الانكسارات و الآلام التي عاشتها والعنف الممارس في حقها، تجدها قوية شامخة، تلملم جروحه، وتستجمع قواها.

لتعود بالظهور بقوة وعزم وإرادة، حتى أنها تسعى لإخفاء أحزانها وآلامها عن أنظار الآخرين، وتمردت ورفضت أن تعيش ذليلة:« وأين تعتقدين أني سأذهب؟ "أرد" إلى المحامية، سأصفي حساباتي مع الجميع، بدءا بالماضي، سأقتلع جذوري من هذا المكان، لقد سئمت طعم التراب و الحجارة.» [1].

تسعى مريم للوصول إلى الهدف المنشود، وأن تكون ناجحة في حياتها، وأن تكون حرة طليقة، تخلق لنفسها جوا من الاستقلالية والرفاهية الذاتية، فتجدها تقنع نفسها أن الحياة أجمل وأبسط، ورفضت كل أنواع الاستبداد والاستغلال والتصدي و الاحتجاج على القوانين المفروض عليها بقوة، وتقاوم الواقع المرير. والرفض الكلي لأنواع العنف و الإذلال رفضت مريم وواجهت الأوضاع التي فرضت عليها:« لقد استنفذنا الدموع، ولم يبقى لنا غير المقاومة، على الأقل مازلت في منتصف العمر.»[2]

لقد تسلحت مريم بالمقاومة والتمرد في وجه العنف والمعنفين في سبيل العيش حياة حرة وكريمة لهذا مريم تمردت في وجه الظلم والقسوة، وناضلت من أجل التخلص من كل أشكال العبودية في سبيل عيش أفضل وغد أفضل.

فعبرت مريم عن هذا الصراع الأزلي في أفق التحرير من جميع أشكال القمع وهيمنة الرجل الذي أغلق أبواب التحرر في وجهها، لكنها تصدنه بكل قوة وإرادة وعزم بصوتها الحاد

[1]-الرواية ص24.
[2]- الرواية ص25.

سعت مريم إلى تحقيق التحرر، وتغيير صورتها التقليدية المحبطة بصورة ضدية ملؤها الحرية والجدارة والعدل، والوقوف في وجه الضغوطات الاجتماعية التي همشتها وعملتها على أنها منبوذة.

دافعت عن قضيتها العادلة بتبليغ رؤيتها الخاصة لوضعها التاريخي الظالم والخروج من قوقعته، وممارسة حريتها بكل جرأة، فقد وعت على الحياة البائسة التي عاشتها.

فأخذت العبرة من تجاربها المريرة مع الواقع المعاش، و قدرتها على المحاربة وحدها من أجل قضيتها:« دائما هناك أرض ينبت فيها الحلم، أو ربما يقيم ريثما تتهيأ أرض أخرى، هكذا قلت لي– استدركت مريم–لهذا سأفي بوعدي لك يا ريم، سأرحل.» [1]. مريم لديها أمل في تغيير حياتها، فأدركت أن الكل يقف ضدها، خاصة على مستوى القوانين المجحفة و العادات و التقاليد البالية الذين فرضوا عليها واقعا مؤلما، و حياة تعيسة، حقوقها ضائعة، وواجباتها فوق طاقتها، عمرها مضي في بؤس وتعاسة من حين ولادتها إلى لحظة موتها.

حيث عاشت مهانة، ذليلة وحقيرة، لهذا مريم أرادت الحرية فقاومت بكل قوتها هذه القوانين المجحفة.

لم تكن مريم الوحيدة التي أرادت التحرر من هذه القيود حتى ابنة المحافية تسلحت بالقلم في مواجهة الظلم والظالمين:«لكني كنت محصنة سلفا، لأن الكتابة مثل إنجاب طفل تتغذى على الانتظار والألم، الآن لا مشكلة بيننا، أحببت الصحافة المكتوبة، لأن القلم يشبه رأس شوكة مدببة، بعض النظر عن تعبر التقنيات، وحتي في لهجتنا العامية نسمي قلم الحبر«الشوكة» هل تعرفين لماذا؟ لأن الصحافة فعلا شوكة ضد الظلم.» [2]

التسلح بالقلم للمرأة سلاح فتاك في وجه العنف والظلم الممارس على المرأة الجزائرية.

[1]-الرواية ص31.
[2]-الرواية ص49.

أرادت مريم أن تشيل نفسها من واقعها المنحط، وحياتها المشينة الذي كبس على حياتها، وأرادت الوصول إلى عزها والرفع من مكانتها، فقاومت وتحدت رغم الصعوبات التي واجهتها، لم تبقى حبيسة الصمت، ولم ترضى بالإهانة و التهميش.

لما كان لمريم نصيب في الحياة، أقدمت على التحدي وإثبات الذات، لتأخذ حقها من الآخر الذي اغتصبه، فعمدت إلى عدة وسائل للحصول على هذا الحق المغتصب:« من عنادك استمديت ضوئي، وإن يكن، فالسر يستبيح كل تماطل، والعمر يلتهم قطرات الأمل المتبقية في قاع الإناء، أنا لها إذن، سأعلنها سباحة ضد التيار، أنا لها لأن الموت واحد..» [1].

قوة مريم في عنادها ورفضها الذل والمعاناة، كانت مريم تنادي بالحق فكان صوتها قويا فكانت هذه أول خطوة للتمرد التكلم عن الممنوع و المحظور، ووقفت وقفة عناد للمسكوت عنه:« أما أنت فلونك أخضر لون صارم، لون العناد و التحدي، لون الكبرياء و اللامبالاة والحظ أيضا»[2]

أرادت مريم المغامرة في هذه الحياة وعدم الرضوخ و تتسلق أسوار الحرية، و التحرير من القيود و إستعاده كرامتها و حقوقها المغتصبة، و للوصول إلى هذه الحرية لابد من بذل جهود لكي تطالب بحقوقها و بالمساواة أمام الآخر الذي همشها لوقت طويل.

كافحت مريم كفاحا طويلا، لتعبير وضعها القائم على التهميش والإقصاء في حق إبداعها، هذا بسبب وعيها وعدم رضوخها للآخر الذي كبت على نفسها وعلى أحلامها، فكانت تتسلح بالأمل وهربت من الحزن والعنف، فبدأت تداوي جروحها، وسعت إلى التخلص من الماضي البشع، و التحرر من هذا الكبت و الانغلاق فهي لا تريد أن تكون ضحية لهذا المجتمع الذكوري المتسلط و المستبد و ترفض الاضطهاد و الظلم ووقفة ندا له.

كسرت مريم جدار الصمت بكل تأكيد، وأرادت إثبات وجودها وفاعليتها بكل طاقتها وقوتها في وجه الهيمنة الذكورية و إبعاد العوائق التي كبلتها، فنجد مريم وقفت ضد التيار في مجتمع منغلق، أو في مجتمع غير واعي، فتجاوزت بعنادها هذا السائد والمحظور والممنوع.

[1]-الرواية ص57.
[2]-الرواية ص90.

فتمرد مريم يكمن في تحطيم الأفكار البالية، ولابد من استئصالها حتى لو اضطرت للوقوف بوجه مجتمع كامل في سبيلها، أرادت مريم نزع لباس الذل والخنوع الذي فرضه الرجل عبر حقب زمنية بعيدة جدا، فهي تريد إيجاد ذاتها و هويتها في مجتمع يراها كائنا ضعيفا:« أنا مريم الهاربة من طفولتها المستعجلة لتسلق أسوار النساء، أنه علي المغامرة في هذه الحياة.» [1]. فوضعها المحزن والمؤلم دفعها للمغامرة ورفض الإذلال والقيود.

إن مريم شجاعة على قدر كاف من الثقة بالنفس، حيث رفعت صوتها في وجه الطغاة، أرادت أن ترفع راية الحق ضد استعباد الناس ومكابد القهر، فالمجتمع له دور هام في جعل مريم تثور وتتمرد على الأوضاع المعاشة والممارسات القمعية، فقد عمل على سحق آدميتها:«ستخضبين يديك و رجليك وشعرك بالحناء وتعودين كما كنت الفرس الجموح التي لا يقوى عل قهرها أعلي الرجال.» [2] تضرب مريم التهميش عرض الحائط والعادات و الأعراض ومواجهة الرجل الذي يعتبرها عبأ ثقيل على كاهله، وأرادت أن تفتك حريتها من القيود الذي فرضها الرجل، ومن الواقع الذي ألزمها بالقوانين البالية والمجحفة في حقها وفي حق جميع النساء، فالمرأة كانت تحت سيطرة الرجل فلم يكن لها دور في المجتمع، فكانت خاضعة للآخر الذي فرض عليها نفوذه وغطرسته، وهذا مار فضته وسعت إلى التنديد بها وفك هذا الحصار الذي كان يخنقها طوال هذه السنين

تمكنت مريم من تخطي كل هذه العقبات وهذه التصورات و الاعتقادات التي قيدت شخصيتها، هكذا تمكنت مريم من الانفلات من قيود هذه الحياة الماكرة والخداعة، واستطاعت استرجاع حريتها، وفصحت عن المعاناة التي كانت تعاني منه منذ زمن طويل. وواجهت المعاناة والجشع الممارس من قبل المجتمع الأبوي.

[1]-الرواية ص91.
[2]-الرواية ص112.

اتخذت مريم من القلم سلاحا تقاوم به المجتمع الأبوي، حيث أضحى وسيلة فعالة لإثبات الذات، فالقلم عند مريم وسيلة للتمرد، فجرت من خلاله كل أنماط الوصايا و القهر، وقد اعتبرته أداة احتجاجية عن الظلم الذي كان المجتمع يمارسه عليها بالقوة، فبضل القلم تمكنت من الصراخ عليا.

«حسنا عدت إلى ذلك العالم الرائع المسمى القراءة، بالتأكيد تأخرت كثيرا وأهدرت أخزانا هائلة، فقط من أجل مقاومة الوحدة والخراب وإعادة ترتيب البيت، وحدها القراءة وقفت بجانبي في الليالي الحالكة المتلفعة بالسواد والقتامة تحت سماء رمادية مرتعشة، وقد غاضت قدماي بما يكفي في الوحل والظلام ولعلي ما انهزمت إلا لأني هجرت العالم السعيد»[1]، أخذت مريم من القلم سبيلا لحريتها والتحرر من الظلم والظالمين، ولاسترجاع الحرية المسلوبة منها. فكان القلم ونيس وحدتها ورفيق دربها.

« يقولون: إذا افتقدت الحب فاذهب إلى القراءة، البديل المتاح.» [2]، فمريم استطاعت الانفلات و لو بشكل بسيط من هذه القيود، وتمكنت من استرجاع أبسط حقوقها، فمريم من النساء اللواتي أخذن القلم من أجل فك قيود الحصار الذي فرض عليها، فعبرت عن رغبتها المكبوتة.

أرادت مريم الانفلات من قيود الآخر، وأرادت أن يكون لها وجود في هذا المجتمع الذكوري الذي تبنى السلطة لمدة طويلة، فأرادت تفكيك هذا المجتمع الأبوي والتخلص من سلطته التي طالما كبلها تحت نفوذى الإلزامية، فقد وضعت نصب عيونها في التحرر من كل ماهو عائق في طريقها و هدفها في هذه الحياة، هذا يدل على وعي مريم حول مايدور في مجتمعها من قضايا خاصة من حيث كانت مجرد لعبة بين يدي الرجل، أما اليوم فقد

[1]-الرواية ص 130.
[2]-الرواية ص 129.

استطاعت التعبير عن اختلاجاتها الشعورية، لترفع بذلك من شأنها، هذا مادفع بمريم لي تكسير روتين الحياة والتحرر من مآسي حياتها.

لقد عمدت مريم إلى التمرد والمقاومة من أجل التنفيس عن نفسها تعبيرا عن المعاناة التي عاشتها، لتأخذ من كل منهل تجربة تجسدها عبر قلمها:« لن أرضّ إن الحياة هنا ليست لأمثالي، هي للحمقاوات والحمقى، كرهت هذا الزمن الراكد الذي لا تجتمع فيه الفتيات إلا لعد عدد الذكور الباقين، لاشيء لي هنا، كل شيء للموت في هذا المكان يا ياسين، ذاكرة الموت وحدها حية، أما ذاكرة الحياة مثقوبة.» [1]، لم ترضى مريم العيش في الذل، بل أرادت حياة أفضل، وأبت الرضوخ للنواميس الذكورية، والكفاح من أجل قضيتها و السعي لنيل سمعتها و كرامتها، وحاربت النضرة الدونية بكل قوتها .

لم يعد بإمكان مريم إثبات حضورها الفعلي بشكل ذاتي إلا بالتمرد:« العصيان و التمرد، تتعنت وتأبى الملاينة، نبكي ذكرى أمنا هاجر وصرخاتها في صحراء العطش»[2]. فمن خلال التمرد تستكشف وعيها وتعبر عن مكنونات الأنا داخلها، فكان التمرد هو السبيل الوحيد في وجه من أقام عليها حصارا، وبالتمرد تتحرر من كل ماهو مسكوت عنه ومفروض عليها بالقوة.

في ظل التمرد على الأوضاع الاجتماعية كان لمريم دور كبير في محاولة تغيير هذه الأوضاع، فقد حاوت كثيرا التحرر، فأرادت الحرية فتمردت على الأعراف وعلى المجتمع وقوانينه الظالمة ضد الإنسانية، فتمردت على الواقع المعاش، كون المجتمع يضعها تحت راية الخرافة و البدع، فالتمرد هو السبيل للخروج من القوانين الظالمة.

[1]-الرواية ص135.
[2]-الرواية ص 150.

لقد تمردت مريم على الذكر الذي ظل يستبد حريتها، ويأخذ من حقها الكثير، والذي جعل منها حبيسة الظلم ، إلا أن مريم لم ترضى بهذا الوضع الذي يقهر نفسيتها ويكتم سر وجودها مستغلا همتها، ليدوس بذلك على كرامتها وعزة نفسها.

فالتمرد طريقة لكسر قيود المجتمع فتمردت مريم عليه فهو الذي أخضعها لعدة قوانين بحكم أنها فتاة، و لايمكن لها التصرف على هواها، وعليها الالتزام بنظم الحياة، فكان أملها من التخلص من كل هذا هو التمرد:« لا أدري ربما استهوتني لعبة العناد والكبرياء الصاخب خطرت ببالي فكرة شيطانية، هذا الحميدي لن يقهره غير الصمت، سينهار حين يلتمس الجدار الأصم، كأني أكتشف عالما غامضا، الرجل يقهره صمت المرأة وإعراضها.» [1]، فمريم تسلحت بالعناد في قهرها للآخر، فكانت مريم متحررة بل متمردة بشكل صارخ على تقاليد وأعراف المجتمع الأبوي.

فكسرت حاجزا الصمت والتهميش الذي عزلها و أقصاها دحا من الزمن:« أعلل النفس لعل في هذا الألم تكمن حريتي العصية، أليست الحرية دوما تأتي على بحر من الدماء.» [2].

في ظل سطوة وجبروت المجتمع الأبوي تعبر مريم عن معاناتها وآلامها بالصبر لنيل الحرية.

تمردت مريم على قواعد هذا المجتمع الذي يحتفي بإنتاج الرجل، فمريم جريئة في تصديها لعادات وتقاليد المجتمع الجزائري.

أرادت مريم التحرير، وأخذ حريتها وحقوقها المغتصبة والمسلوبة بغير حق، وبدون قبولها، فقد فرض عليها التقيد بالأعراف البالية و الخاطئة، فتمردت وسعت بكل قدرتها لتحصيل الحرية.

[1]-الرواية ص 152.
[2]-الرواية ص 154.

إن مفهوم الحرية لدى مريم تعنى لها أن تملك كل ما يرتبط بجسدها وروحها وكل اختياراتها، كاختيار القرارات المناسبة ونمط الحياة الذي تريده، وتحديد هدفها وطموحها في هذا العالم، و أن تكون مسؤولية عن نفسها دون وصاية أحد، أي أن تكون حرة بذاتها و إنسانيتها مع مراعاة طبعا الأخلاق و القيم الإنسانية:« تحول الأمر إلى ما يشبه اللعبة الخطرة، لعبة العناد المكابر، دائما الطقس الغريب يثير الفضول لا أدري بالتحديد أهي الرغبة فعلا من التحرر من أسر أمي؟ أحقا كانت تلك رغبتي؟ لا أدري، البعض يقولون إلى الحرية دائما لا تخرج من بوتقة الألم. [1]». فالحرية عند مريم تخرج من الألم والصبر والتمرد لأخذ الحرية.

حرية أخذ خياراتها الأخلاقية والإنسانية بشكل مطلق، حيث إن حريتها هي أساس كونها إنسانا، لا فرق بينها وبين الرجل في ذلك. ولا شك أن الحرية هي حق من حقوقها التي من الواجب أن تحصل عليه بشكل كامل:« والآن يا مريم، هاهو باب الحرية يتعنت، يستظل بظلال الكتمان والتخفي، لا يبوح، لا يغني لشروق الشمس، يؤجل الإفصاح، حافته الحادة تتوعد، تلمع كالنصل بالبياض الراقص مثل تهديد السراب، فما أنت فاعلة بنفسك ؟ يا مريم ليس هناك فارس سيفوز بمجد تحريرك ويحصل شرف السبق، أنت سيدة نفسك، أنت المجد والشرف.» [2]. أرادت مريم تحرير نفسها من القيود بنفسها، فثقتها بنفسها تفوق الحدود، ولم تبالي بالحواجز التي اعترضت سبيلها.

سعت مريم للتحرير، وأخذت القلم ونيسا لها، يعطيها من ضعفها قوة ومن هزيمتها انتصارا، اتخذته سلاحا لتقاوم سطوة المجتمع الأبوي، حيث أضحى وسيلة فعالة لاستعادة حريتها ومكانتها وذاتها، فالقراءة لديها مجال للتعبير عن فعل تمردي واحتجاجي يتلبس في حالات كثيرة بلهجة انتقاديه حادة لاذعة تصادر كل أنماط القمع والوصاية والقهر التي تدوس الكيان الأنثوي، في هذا الصدد تقول سيلفيا بلاث: "أنا أكتب لأن هناك صوتا في داخلي لن يسكت". تعني الحرية لمريم التمرد ومواجهة ارث طويل من الاستعباد والاضطهاد، إنها تريد

[1]-الرواية ص 155.
[2]-الرواية ص 156..

إعادة تشكيل نفسها من جديد في عالم حر، أرادت توليد الحياة من ظلمة الفقد والغياب، من المهم جدا أن مريم وعت بأهمية النضال من أجل حقوقها:« خمس سنوات واسمك ينام داخل خزانتي يتحلل في رائحتها العتيقة، واليوم هاهو يطفو إلى السطح بكل جرأة، دون أن يعبأ بالاعتبارات والتقاليد التي تعارفت عليها كاف الحمام في قوانينها اليومية.» [1].مازلت مريم تناضل من آجل إنسانيتها ومن أجل حقوقها، والتحرر من المفاهيم الخاطئة والعادات و التقاليد المورثة.

«هاهي تعود من البئر المهجورة، تعود نحو سطح الأرض المشبع بالشمس، كأن الحمل الثقيل انزاح عن كاهلها، تواجه صورتها في المرآة بتحد هذه أنا مريم، مريم بنت زليخة بنت أعمر، مريم بنت الحاج بن إبراهيم.» [2].

ما أضيق الحياة لو لا فسحة الأمل، لذلك لا بد من التعلم من الماضي و الحاضر ونعمل ايجابيا لمستقبل مشرق خالي من الممارسات الإنسانية في حق المرأة الجزائرية، ونحرص على الاحتفاظ بالطاقة الإيجابية، ونتمنى أن نجد المرأة في حال أحسن من اليوم، وأتمنى أن نتعاون جميعا رجالا ونساء على تحرير المرأة من قيود العادات والتقاليد والمفاهيم الخاطئة خاصة المرأة الجزائرية.

[1]-الرواية ص 164.
[2]-الرواية ص 176.

☙- السيرة الذاتية لسامية بن دريس:❧

سامية بن دريس من مواليد فرجيوة ولاية ميلة بالشرق الجزائري، سنة 1971، تابعت دراستها الأولية بمسقط رأسها، ثم انتقلت إلى جامعة قسنطينة، حيث حصلت على شهادة ليسانس في الأدب العربي سنة 1994، بعد التخرج التحقت بالتعليم الثانوي الذي مازالت تزاوله إلى يومنا هذا.

حصلت على شهادة الماجستير سنة 2014، تخصص النقد الجزائري المعاصر من جامعة جيجل.

بدأت الكتابة مع بداية التسعينات، وأذيعت بعض القصص القصيرة في برنامج « دروب الإبداع».

***إصداراتها:**

- رائحة الذئب.
- شجرة مريم.
- أطياف شهرزاد.
- بيت الخريف.

☙ الخاتمة: ❧

سعيت في هذا البحث الكشف عن معاناة المرأة الجزائرية في ظل العنف الممارس عليها، و كيفية مواجهتها الظلم و القهر الممارس عليها.لأن المرأة الجزائرية تساهم في دفع عجلة التقدم و الحضارة بشكل فاعل، و قد أوصى بها الله أختا، و أما و زوجة و كرمها مثلها مثل الرجل.

و خرجت بجملة من النقاط:

قطعت المرأة الجزائرية أشواطا طويلة كي تثبت ذاتها، و تفرض وجودها في مختلف المجالات، فبعد أزيد من خمسة عقود من تاريخ استرجاع الجزائر لسيادتها، تمكنت من تبوأ مكانة محترمة على جميع الأصعدة الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية و الثقافية. و لأن المرأة لعبت دورا بطوليا جنبا إلى جنب الرجل إبان الثورة التحريرية و ما تلاها في مرحلة البناء و التشييد، فقد استحقت الترقية.

– إن المجتمعات الراقية المتميزة، هي من تمنح للمرأة دورا فعالا في الحياة، و هي التي التي تساندها في أن تكون قدوة للأجيال القادمة، و لا تحصر دورها في الزواج و الإنجاب، لأن المرأة تملك مهارات عظيمة.

– مقاومة بطلة رواية شجرة مريم، و عدم رضوخها للعنف.

– فرض مريم وجودها في الحياة و المجتمع و وقفت ضد العادات البالية

– تعجز الكلمات عن وصف أهمية المرأة و دورها في المجتمع، فالمرأة هي الأم و الأخت و الزوجة، فهي تعتبر منبع الحنان و العطف في كل بيت، و لا يمكن لأي مجتمع أن يحيا و يعيش و يستمر بدون أن يكون دور فعال في كل المجالات، و قد أكدت جميع الأديان السماوية على أهمية المرأة، و دعت إلى ضرورة الاهتمام بها و إعطائها حقوقها كاملة، و عدم التعدي عليها بأي شكل: " وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة'.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة الكتب:

- أحمد ضيف الله عالية، العنف ضد المرأة بين الفقه والمواثيق الدولية، دراسة مقارنة
- ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة رضا نهاد، دار منشورات عويدات ط 3، بيروت 1983
- أحمد عمرو، النسوية من الراديكالية حتى الإسلام
- أبو نضال نزيه، تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية بيروت 2005.
- بن دريس سامية، شجرة مريم، الجزائر دار ميم للنشر.ط 1 2016.
- بيار بوديو، الهيمنة الذكورية، الدكتور سليمان فعفراني، بيروت ط 1 2019.
- بن جمعة بوشوشة، الرواية النسائية المغاربية منشورات سعيدان، تونس.
- بدوي عبد الرحمان، دراسات في الفلسفة الوجودية ط 3، دار الثقافة بيروت 1973.
- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، 1982.
- بلخير ليلى محمد قضايا المرأة في زمن العولمة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميلة.
- بن خميسي زاكية، أسباب العنف ضد المرأة المتزوجة في المجتمع الجزائري، دراسة ميدانية جامعة ورقلة ، 2012.
- بلعادي إبراهيم، العنف المفهوم والأبعاد دراسة نقدية.
- سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية ط 1 دار الكتب والوثائق القومية 2002.
- حب الله عدنان، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة، من فريد إلى لا كن، دار الفارابي 2004.

- حمداوي محمد، المرأة بين الأسرة والمجتمع، الازدواجية والعنف المعنوي 1998.
- حطب نصير وعباس مكي، السلطة الأبوية والشباب معهد الإنهاء العربي بيروت.
- دعمان علي، بين التوقع والتجنس والبحث عن الهوية الجنوسية للكتابة النسوية.
- ديبوفوار سيمون، كيف تفكر المرأة، سعد زعلول، دار المركز العربي للنشر والتوزيع والأخلاق.
- سعداوي نوال، المرأة والدين والأخلاق.
- سعداوي نوال، الحب في زمن النفط مكتبة مدبولي، ميدان التحرير، طلعت، سرب، القاهرة ط1 1993.
- سعيد خالدة، المرأة التحرير، الإيداع والنشر الفنك، دار البيضاء 1991.
- شرف الدين فطيمة، أصل واحد وصور كثيرة ثقافة العنف ضد المرأة لبنان ط 1 دار الغرابي، بيروت، لبنان، 2002.
- صليبا جميل، المعجم الفلسفي ط 2 دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982.
- عبد الله ألغامدي، المرأة واللغة، المركز الثقافي دار البيضاء سنة 2006.
- عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة والأنوثة من فرويد لاكان، بيروت، لبنان دار الغاربي 2004.
- الفاروق فضيلة، تاء الخجل، الناشر رياض الريس للكتب والنشر، الجزائر 2003.
- ليرتر غيرد، نشأة النظام الأبوي الترجمة أسامة، سير ط 2 بيروت المنظمة العربية للترجمة 2003.
- مقدم مليكة رواية المتمردة المركز الثقافي العربي شبكة صخب الأنثى الأدبية 2003.

- مقدم مليكة، رجالي تر نهلة بيضون، دار الغرابي، سيديا، بيروت، لبنان ط 1 سنة 2007.
- مستغانمي أحلام، عابر سرير، دار الأدب القاهرة ط 1.
- معتوق جمال، مدخل إلى علم الاجتماع الجنائي أهم النظريات المقسرة للجريمة والانحراف ط1 دار مرابط، الجزائر 2008.
- هناوي نادية، الجسدية بين المحور والخطر الذكورية الأنثوية، دار لبنان بيروت ط1 2016.
- يحياتي محمد مفهوم التمرد عند ألبيركامو موقفه من الثورة الجزائرية التحريرية ديوان المطبوعات الجامعية 1984.

المذكرات:

- قاسم صفوي محمد، شعرية السرد النسوية العربي الحديث، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه سنة 2000.

المجالات:

1)– أرفيس سعادة:ملامح التمرد في الرواية النسائية الجزائرية مجلة الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة للرواية، جامعة مسيلة عدد 15.

2)– حيرش جمال: التمثيلات الاجتماعية أسس المقاومة النظرية وأفاق البحث جامعة جيجل العدد الأول سنة 2006.

3)هادف كريمة، حق المرأة في الميراث بين إنصاف الشرع وظلم العرف جريدة الفجر الجزائرية العدد 4338 سنة 2015.التصحيح بالطلاق أبسط أنواع العنف ضد المرأة 6، 12، 20015.

4)–السويد محمد، من مشكلات الأسرة النازحة في الوسط الحضاري، مجلة المجاهد العدد، 1314 سنة 1985.

5)عبد الباقي يوسف، ألبير عامر وفلسفة التمرد مجلة جسد الثقافة الإليكترونية .

6)خليل سليمة ومشقوق هنية، الأدب النسوي بين المركزية والتهميش مجلة كلية الآداب واللغات دورية علمية محكمة جامعة محمد نظير بسكرة الجزائر سنة 2001.

المواقع الإلكترونية:

- إعلان بشأن القضاء على العنف ضد المرأة للأمم المتحررة حقوق الإنسان 20. 12. 1993 أطلع عليه. 15. 08. 2019.
- أشكال العنف ضد المرأة ج 2 العنف الجسدي والنفسي 8. 10. 2016 أطلع عليه بتاريخ 20. 08. 2019.
- العنف ضد المرأة الحالة الراهنة: الأمم المتحررة حملة اتحدوا لإنهاء العنف ضد المرأة.

- Www women ohealth. Goro. Retrieved 26. 7. 2018. Edited.

- Https: genderation. X.Y.Z/W: Ki 29. 08. 2019.

القواميس والمعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت مجلد 3 سنة 1955.
- أحمد رضا، معجم من اللغة، موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة ط 1.م5 .1990.
- بن يعقوب الفيروزي أبادي محمد بن يعقوب، قاموس المحيط، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع القاهرة.
- الباشا محمد، الكافي، معجم العربي الحديث شركة المطبوعات ط1 بيروت لبنان.

الفهرس

كلمـــة شكـــــر

إهـــــــــــداء

مقدمـــــــــــة

مدخـــــــــــل

الفصل الأول : مظاهر العنف و التمرد في الرواية النسوية الجزائرية

المبحث الأول : العنف الممارس ضد المرأة الجزائرية و أشكاله 11

المبحث الثاني : صورة المرأة الجزائرية تحت وطأة المجتمع الأبوي.....25

المبحث الثالث : تمرد المرأة الجزائرية.....37

الفصل الثاني : تجاليات المقاومة و التمرد في رواية شجرة مريم

المبحث الأول : تحليل غلاف رواية شجرة مريم 53

المبحث الثاني : العنف الممارس على بطلة رواية شجرة مريم زمن العشرية السوداء و بعدها 61

المبحث الثالث : تمرد و مقاومة البطلة على العنف الممارس ضدها 82

الخاتمة